الفصل الخامس

كمـــال إعراضه ﷺ

عما سوى الله عز وجل

من دلائل النبوة في هذا الخلق الكريم :

إن المرتبة العليا في كمال الإعراض عما سوى الخالق سبحانه وتعالى تستلزم فيما تستلزمه :

١- معـــرفة كمـــالات الألوهية ، والعلم بما يليق بالله عز وجل من الأسماء والصفات .

٢- معرفة كل ما من شأنه أن يقرب إلى الله تعالى .

٣- معرفة كل ما من شأنه أن يبعد عن الله عز وجل ويحجب العبد عن خالقه تعالى .

٤- معـــرفة حقـــوق الخلق وواجباتهم أمام الله عز وجل وهذا يقتضي معرفة جميع الكمالات الممكنة للمخلوقات .

٥- صرف جميع الشئون والأحوال لله عز وجل .

٦- إخلاص النية في كل قول أو عمل أو حركة أو سكنة لله عز وجل .

والكمال في هذه الشئون لا يكون إلا بكتاب معجز من عند الله عز وجل محيط بكـــل مـــا يرضي الخالق سبحانه ، وبكل ما يقرب من سخطه تعالى ، ويبين

للـــناس كـــل مـــا يسعدهم في دنياهم وأخراهم في جميع أحوالهم : السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتشريعية والأخلاقية والتربوية والنفسية .. والذي يـــبلِّغ هذا الكتاب الإلهي المعجز في تفصيله لجميع مراتب الكمال الإنساني ، يكون معجزا في جميع ما فصله القرآن العظيم من هذه المراتب .

ولـــو لم تكن لرسول الله ﷺ من خصلة سوى الإعراض عما سوى الله تعالى لكفـــى ذلك دليلا على أنه أكمل البشر على الإطلاق ، وإن أشد الناس جحودا لـــو تـــأمل فـــي هذه الناحية من نواحيه ﷺ لما وسعه سوى التسليم بالإعجاز المحمدي المبين .

يعـــرض علـــيه المشركون المال والرياسة والملك وما عندهم من الدنيا : فلا يقـــبل مـــنهم صـــلوات الله وسلامه عليه إلا الإسلام . ويساومه الناس على النصـــرة والتأيـــيد ، فـــي المواطن التي يعز فيها وجود الناصر ويتعلق فيها الإنسان بكل من يمد يد المعونة إليه بأي ثمن ، ويشترطون في مقابل نصرتهم ترك العمل بأي نص من نصوص القرآن العظيم ، أو المشاركة في الحكم ظنا مـــنهم بأن المسألة مسألة سلطان وإمارة وملك ، فيرفض صلوات الله وسلامه عليه أي يد تمتد إليه ولا يقبل إلا الإسلام دون قيد أو شرط .

واســـتخدمت في المساومة جميع ضروب الضغط المستمر المتواصل الذي لا يطـــيقه سواء ﷺ من الغمز بالقول ، والدعاية الفاجرة ، وتعذيب من آمن بالله تعـــالى ، إلى الحصار والحرمان من القوت ، ومحاولة القتل والاغتيال ، بل والـــتهديد بالإبـــادة الجماعية : كل ذلك ليكف عنهم صلوات الله وسلامه عليه ويـــترك الدعوة إلى الإسلام فيلجمهم بقوله (فوالله لا أزال أجاهد على الذي

بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة[1]) ويرميه الخصوم عن يد واحدة ويجمعون على يد واحدة ويجمعون على الكيد له ، فلا يكترث بمخلوق مهمـا آذاه ومهما كاد له ، ولا يزال به حتى يدخل في الإسلام ، فيبحث هل عـند رسول الله ﷺ شيء من أثر قد تركه إيذاؤه للمسلمين قبل إسلامه ، فلا يجـد شـيئا . روى الـترمذي في الشمائل عن عمرو بن العاص : قال كان رسـول الله ﷺ يُقْبِل بوجهه وحديثة على أشر القوم يتألفهم بذلك ، فكان يقبل بوجهه وحديثة عليَّ حتى ظننت أني خير القوم ! فقلت يا رسول الله : أنا خير أو أبـو بكر ؟ قال: أبو بكر فقلت: يا رسول الله أنا خير أو عمر فقال: عمر. فقلت: يا رسول الله ، أنا خير أو عثمان ؟ قال: عثمان. فلما سألت رسول الله فَصَـدَقَني فلوددت أني لم أكن سألته مع أن عمرو بن العاص هذا قد استخدم كـل دهائه قبل إسلامه للصد عن سبيل الله تعالى . وكان مندوب قريش لدى النجاشي ليطرد من هاجر إليه .

روى ابن اسحق عن عمرو بن العاص أنه قال :

(خرجـت عـامدا إلى رسول الله ﷺ لأسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح ، وهو مقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ قال : والله لقد استقام المنسم[2] ، وإن الرجل لنبي ، أذهب والله فأسلم ، فَحتَّى متى ؟! قال : قلت : والله ما جئت إلا لأسلم . قال : فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ ، فتقدم خالد بـن الوليد فأسلم وبايع . ثم دنوت فقلت : يا رسول الله ، إني أبايعك على أن يُغْفَـر لـي ما تقدم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخر قال. فقال رسول الله ﷺ :

---

[1] صفحـة العنق .

[2] المنسم هو خف البعير . يشير إلى استقامة الطريق .

يـــا عمرو ، بايع فإن الإسلام يَجُبُّ[1] ماكان قبله ، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها. قال : فبايعته.) وقد أسلم معهما عثمان بن طلحة بن أبي طلحة .

ولا يقـــبل إلا ما أمر الله تعالى بقبوله مهما كان الشخص قريبا أو محبا: ولقد خَيَّر صلوات الله وسلامه عليه أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهم بين أمريـــن : التســـريح الجمـــيل – الطلاق – إن كن يردن الحياة الدنيا وزيتنها لأن رسول الله ﷺ يضع قواعد الحياة الإنسانية كما أمره الله تعالى فمن خالفها فـــلا يقـــيم معه وإن اخترن البقاء فبشرطه: وهو الاهتداء بهديه صلوات الله وسلامه عليه .

وفي غزوة حنين قسم رسول الله ﷺ الغنائم ، ولا عليه لو أعطى ذوي البلاء مـــن أصـــحابه مايـــريد ، ولكنه تركهم وأعطى المؤلفة قلوبهم ، ولم يحاب أصحابه مع بلائهم في الإسلام ، بل تركهم لإسلامهم لأن الإسلام إذا ما تمكن من الإنسان أقبل على الله عز وجل وأعرض عما سواه ، وأصبح في مستوى أعلـــى مـــن مستوى التأليف والترويض ، بل بالعكس يصبح في منزلة الذي يـــروِّض غـــيرَه ويؤلفُهُ على الإسلام . قيل لرسول الله ﷺ في توزيع غنائم حنيـــن: (أعطيـــت عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس مائة مائة وتركت جعيل بن سراقة الضمري ! فقال رسول الله ﷺ : أما والذي نفس محمد بيده لجعـــيل بـــن ســـراقة خير من طلاع[2] الأرض كلهم مثل عيينة بن حصن ، والأقرع[3] بن حابس ، ولكني تألفتهُما لِيُسلِما ووكَلْتُ ابن سراقة إلى إسلامه)

لا تفاضل عنده ﷺ بين الناس في متاع الدنيا وزينتها ، فكبير القوم أو أدناهم ، الملوك أو العامة عنده صلوات الله وسلامه عليه في الإسلام سواء ، لا فرق

---

[1] يقطـــع .

[2] ما يفيض ويسيل عنها .

[3] كانا كبيرين في قومها .

بيـــن هـــذا وذاك فـــي ديـــن الله عز وجل . ولما أن النفس تميل إلى احترام المظهر، كان صلوات الله وسلامه عليه يُعَلِّمُ أصحابه ويريهم حتى لا يتأثروا بهذا الميل .

مـــرَّ رجل يختال في برديه ، إن جلس أفسح له الناس ، وإن تكلم أنصت له الحاضرون ، وسمعوا قوله ، وإن رغب في الزواج قبله الناس ، ومر آخر: إن جلس له يأبه له أحد ، وإن تكلم لم يسمعه أحد وإن رغب في الزواج زهد الـــناس فيه . فقال رسول الله ﷺ لأصحابه " هذا خير من ملء الأرض مثل هذا" . ينبههم صلوات الله وسلامه عليه إلى أن الإنسان لا يقاس بظاهره ، فقد يكـــون المظهر حسنا والباطن فاسدا ، وقد يكون المظهر حقيراً ، ولكن نفسية صاحبه نفسية عالية ، قد طبعت على مكارم الأخلاق ومعاليها . يقول صلوات الله وســـلامه عليه (رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره) رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة رضوان الله تعالى عليهم .

والإعـــراض عمـــا سوى الله سبحانه وتعالى ، يرتبط بباقي الكيان الخلقي : كالوفـــاء ، والإخـــلاص ، والتوكل ، والزهد والعفو والصبر والاعتزاز بالله تعـــالى . فـــالذي ينقصـــه الوفاء يقبل المساومة على الخلف . والذي ينقصه الإخلاص يقبل المساومة على التبديل . والذي ينقصه التوكل على الخالق عز وجـــل يقـــبل المســـاومة علـــى الدنيا . والذي ينقصه الزهد يقبل المساومة على المال ، والذي ينقصه العفو يقبل المساومة على الانتقام ، والذي ينقصه الصـــبر يقـــبل المساومة على الاستسلام ، والذي يفقد العزة بالله تعالى يقبل المساومة على السلطة الخ ...

وإذا نظرنا في هذه الخصلة وعلاقتها بِحِلْيَتِهِ ﷺ الشريفة لوجدنا أنها تقتضي ، كمـــا رويَ فـــي الحديث : أن جَلّ ضحكه التبسم ، إذا التفت الْتفت جميعا .

خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، دائم الفكرة ليس له راحة ، لا يتكلم في غير حاجة ، طويل السكوت ، وإذا تكلم تكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير . دمثا لا يذم شيئا لم يكن يذم ولا يمدحه ، لا يقام لغضبه إذا تَعرَّضَ للحق بشيء : حتى ينتصر له ، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها . أبعد الناس عن مواطن الريب ، أقنع الناس باليسير من الدنيا ، يلبس ما يجد ، ويأكل ما يجد ، لا يترفع عن أصحابه في شئ : روى أبو داود عن أبي أمامه رضي الله تعالى عنه قال : (خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئاً على عصا ، فقمنا إليه . فقال : لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا . وإذا جاء إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ولا يدع أحداً يمشي خلفه ، ولا يدع أحداً يمشي معه وهو راكب حتى يحمله ، فإن أبى قال " تقدمني" إلى المكان الذي يريد . لا يحجب عن مجلسه أحدا ، فلا ضرب ولا طرد ولا إليك. إليك . فراشه أدم حشوه ليف ، أو مسح يثني ثنيتين ، أو سرير مرمول بشريط قد يؤثر في جنبه.

ومع تعرض كل أصحابه لخدمته ، كان يخدم نفسه ، ويعلف ناضحه ، ويحمل حاجته من السوق ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : دخلت السوق مع النبي ﷺ فاشترى سراويل ، وقال للوزان : زن وأرجح . فوثب إلى يد رسول الله ﷺ يقبلها ، فجذب يده وقال : هذا تفعله الأعاجم بملوكها ولست بملك إنما أنا رجل منكم . ثم أخذ السراويل ، فذهبت أحمله ، فقال ﷺ : صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله .

والذي يتأمل في أخلاقه صلوات الله وسلامه عليه يستطيع أن يصف حليته الشريفة وصفاً لا يختلف عما نصت عليه الأحاديث ، وإن حدث اختلاف فإنه إنما يرجع إلى قصور الواصف عن معرفة أخلاقه العاطرة الكريمة .

وإن كمال التعلق بالله عز وجل ، وكمال الإعراض عما سواه يورث فيما يورثه :

١- **الإتـــزان النفســـي** : فالإعراض عما سوى الله تعالى يقتضي أن الإنسان مهمـــا أتى من الأسباب الموصلة إلى أمر من الأمور ، ومهما بلغ من إحكام تدبيرها ، فإنه يفوِّض النجاح والظفر إلى الله سبحانه وتعالى . وقد بلغ رسول الله ﷺ الـــنهاية فـــي إحكام كل أمر ، لأن إحكام التدبير مما تقتضيه الحكمة الإلهـــية ، ولا يعلِّق النصرَ إلا بالله عز وجل . ولذا نجد أن الصحب رضوان الله تعالى عليهم حين انهزموا عنه في وقعة أحد وفي حنين : يبقى رسول الله ﷺ وحـــده فـــي وجـــه العـــدو ، فالنصر لم يكن مناطا بعد حسن التدبير إلى الأســـباب ، ولكـــن النصر والظفر من عند الله عز وجل ، وقد وعد رسوله صلوات الله وسلامه عليه بالنصر . وهذا موطن من المواطن التي يضطرب فيها المرء لو كانت عنده أية بادرة من الالتفات إلى ما سواه عز وجل .

وهـــذا الخلق يجعل الإنسان عل حالة واحدة سواء نال ما طلبه أم لم يدركه ، لا يهاب أمرا خشية من عدم النجاح ، يرضى بما حدث ويواجه الوقائع بقلب مطمئن ثابت قد امتلأ إيمانا .

والشـــريعة المحمديـــة هـــي مصدر الاتزان النفسي الكامل الذي ليس له من مصـــدر مسئول سوى الإيمان كما فصله سيد العلماء بالله تعالى طبقا لما جاء فـــي القرآن العظيم . ومن فقد هذا الإيمان ضل سعيه والتبست عليه الأمور التـــي يتعلق بها كمال وجوده فيقع في الشر وهو يسعى إلى الخير . ويصيبه الضـــرر مـــن حيث كان يطلب المنفعة ، وأخف وأهون ما يصيبه من الشقاء تشتت الأهواء ، واضطرابه بين دواعيها ، وحرمانه من سعادة الهدى الكامل والاهـــتداء الصحيح شطر الوجهة التي ينبغي أن يتولى شطرها ، وهيهات أن يبلغ من المعرفة ما يجعله يفعل ما يجب أن يُفْعَل .

٢- **قـــوه العـــزم** : ذلك ان العزم يكون على قدر التعلق بالاسباب ، فإذا ما ذهبـــت ذهـــب العزم . أما إذا كان مصدر العزم هو التعلق بالله عز وجل ، والإعراض عما سواه ، فعلى قدر كمال هذه الخصلة تكون قوة العزم ، ومن هنا تستطيع أن تتأمل في قوة سيد أولي العزم صلوات الله وسلامه عليه .

٣- **الإخـــلاص** : إن الإنســـان إذا ما فرغ قلبه مما سوى الله عز وجل ، ولم يتعلق إلا بالله تعالى ، ورث الإخلاص في القول والعمل ، والشريعة المحمدية ترفع الإنسان إلى أعلى درجات التكريم حينما تفصِّل له الوجودَ تفصيلا يجعله لا يعـــامل إلا خالقه في جميع شئونه ،ولا أعز ولا أرفع ولا أنبل ممن يتحقق بهذا المقام الذي يخلع عليه مكارم الأخلاق ومعاليها .

أمـــا إذا عود الإنسان نفسه التوجه إلى غير الله عز وجل ، أو غاب الإنسان عن شهود ما يليق به من الاستعانة بالحق سبحانه والافتقار إليه ، فإنه ينقص بقدر ما نقصه من قوة اليقين .

٤- **الشكر** : إن شكر الله عز وجل يتحقق بإعراض الإنسان عما سوى خالقه، مما يثمر له كمال التوجه إلى الله عز وجل .

٥- **الحب** : إن كمال حب الله تعالى يقتضي الإعراض عما سواه ، ومن تمام المحـــبة : أن يحـــب ما أحبه الله تعالى ، وأن يعرض عما أ عرض عنه الله تعالى ، ولما أن هذا ليس في طاقة المخلوق : فإنه لا يتم إلا بالاقتداء برسول الله ﷺ ﴿ **قـــل إن كُنـــتُمْ تُحبّون اللهَ فاتبعوني يحببْكُمُ اللهُ ويغفرْ لكم ذنوبكم واللهُ غفورٌ رحيمٌ -٣١- قل أطيعوا اللهَ والرسولَ فإن تَولَّوْا فإن الله لا يحبُّ الكافرين** - ٣٢ ﴾ سورة آل عمران .

١- المشركون يعرضون الدنيا

على رسول الله ﷺ

اتفــق أربعـــة من زعماء بطون قريش : الأسود بن المطلب بن أسد من بني أســـد، والولـــيد بن المغيرة من بني مخزوم ، وأمية بن خلف من بني جمح ، والعـــاص بـــن وائـــل من بني سهم ، على أن يعرضوا على رسول الله ﷺ مشاركته في الأمر في مقابل اعتراف متبادَل يتم بين رسول الله ﷺ وبينهم ! كَـــبُرتْ كلمـــةٌ تخـــرج مـــن أفواههم ! يساومون الله عز وجل على الإيمان برسالاته ؟.

وجـــاءوا رسول الله ﷺ فقالوا : (هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد! فنشترك نحن وأنت في الأمر ! فإن كان الذي تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أ خذنا بحظنا مـــنه ، وإن كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت أخذت بحظك منه !) يظنون أن النبوة تكون بالمساومة ! والرسالة تكون بالعرض كسلعة من السلع ! وكلامهم يشتمل على الحجة عليهم : فإنهم لو اعترفوا صادقين ، وآمنوا بالله عز وجل، لكان أول شيء يفعلونه هو تحطيم أصنامهم فالمسألة إذن ليست مسألة إيمان ، ولكنها مسألة إغراق في الضلالة والمكر والخداع .

ولمـــا فشلوا عادوا ليعرضوا عرضا جماعيا ، اطمأنت إليه نفوسهم : ذلك أن أمل كل فرد في الحياة هو السعادة . ووسائل السعادة في نظر المشركين ومن شابههم : هي المال والملك ؛ ولم يفتن الناس مثل الصراع على المال والسلطة والرياسة : فليعرضوا جميعا على رسول الله ﷺ ، أعز الأماني التي يمكن أن يدركهـــا إنسان في الدنيا : المال والملك. فليحكموه في أموالهم يفعل بها كيف شـــاء فهو الأمين على كل شيء ، وليملِّكوه عليهم فيكون سيدهم المطاع فهو

نعم السيد ، وذلك كله في مقابل التخلي عن تبليغ الوحي الإلهي ! وفات هؤلاء أن السعادة ليست في شئ أبدا إنما هي في أمر واحد . نعم في أمر واحد فقط لاغير . فإنك مهما قلّبت من كتب وأسفار ومهما بحثت فيما وُضِع البشر عن السعادة لم تزدد إلا إيمانا بأنها منحصرة في ذلك الأمر : وهو الإيمان بالله ورسوله ، ويتفاوت الناس في السعادة على قدر تفاوتهم في الاقتداء برسول الله ﷺ . فقد جاءنا بالسعادة العظمى وفصّل الطرق الموصلة إليها ، وحذرنا من كل طريق يبعد الناس عنها ، وليس في وسع مخلوق أن يبين هذا البيان القرآن الجامع سواه ﷺ . ومن المفارقات أنهم يعرضون حطام الدنيا على من جاء للعالمين بسعادة الدنيا والآخرة !

وإذ ظنوا أنهم عالجوا الأمر على أتم وجه وأحسنه ؛ انتدبوا من بينهم عتبة بن ربيعة العبشمي ليبلغ رسول الله ﷺ ما اتفقوا عليه ، أي أنهم اختاروا زعيم بين عبد مناف الذين لم يسلموا بعد ليكون أشد تأثيرا .

وتوجه عتبة إلى المسجد الحرام فوجد رسول الله ﷺ جالسا بمفرده ، فجلس إليه وطلب منه ﷺ أن يستمع إلى ما تعرضه قريش . فقال رسول الله ﷺ : (قل يا أبا الوليد اسمع).

فقال عتبة : (يا ابن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر : مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا ؛ سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا . وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع أن ترده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل

حتى يداوى منه) حتى إذا فرغ عتبة قال رسول الله ﷺ : (أقد فرغت يا أبا الوليد؟) . قال : نعم . فقال ﷺ (فاسمع مني) . قال عتبة (فقل) :

وشرع رسول الله ﷺ يتلو عليه من سور القرآن العظيم سورة (حم) فصلت . وأخذ عتبة يستمع إلى كلام الله عز وجل رطبا من فم رسول الله ﷺ في المسجد الحرام .

كانت حجج المشركين والمعارضين تتداعى وتتهافت في النار كالفراش أمام النور الأزلي الذي يسطع من كلام الله تعالى ، فتقشعر له الجلود ، وتتبدد أمامه ظلمات الباطل ، آيات الله تفصّل الدنيا ونظامها ، وتصِفُ الآخرةَ ومافيها ، تِعِدُ : فتَهُبُّ منها أنفاسُ الرحمن ، فتنشرح الصدور وتبتسم الثغور ، وتتوعد : فتقصف لها السماء وتهتز الأرض ، وترعد القلوب. إنها تهز الوجود من أساسه . لها حلاوة لا تخطر على قلب ، وسطوة تتلاشى أمامها المخلوقات ، ونور يجلو وجه الحق في كل شيء ، ومعان لا نهائية لا يدرك مخلوق لها قرار ، كلام الله عز وجل : لا ينكره سوى جاحد قد غطى عينيه بيده ليُنكر وجود الوجود ، وهو يفعل المستحيل لأنه لا يستطيع أن ينكر وجوده.

وأخذت عتبة رهبة الموقف ، فلم يستطع التفوه بكلمة ، واعترته لحظة من اللحظات التي يقوى فيها العقل على سلطان النفس ، فتهاوت أمام ناظريه حجج المشركين ، وتبدى له الحق بأوضح صوره ، كما انكشف له الباطل في أبشع صوره .

ولما فرغ رسول الله ﷺ قال : (سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك). فقام عتبة منصرفا مبهوتا ، وهو لا يزال واقعا تحت تأثير ما سمع ، يحاول أن يجدَ أي تعليلٍ لاضطهاد المشركين للمسلمين فلا يجد ؛ ولماذا يضطهدونهم

وفـــي بـــلاد العرب تعيش كل ملة من يهود ونصارى وصابئة وعبّاد وثَن ! المســـألة إذن ليســـت مسألة خلاف في الدين ! وكان قد وصل إلى دار الندوة بجـــوار الكعـــبة فلما رآه مجلسه قالوا (نحلِفُ بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب) وأدركوا بفراسة العربي وذكائه الفطري الحادّ الفرق بين : حالة عتبة وقد نفخت أعطافه حمية الجاهلية حين توجه ليبلغ عرض قريش ، وبين حالته عندما أقبل راجعا ونفسه تكاد تزهق من سطوة الحق .

فلما أخذ مجلسه بينهم قالوا : (ما وراءك يا أبا الوليد) ؟

قـــال عتـــبة : (**ورائي أني قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ! والله ما هو بالشـــعر ، ولا بالســـحر ، ولا بالكهانـــة ، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي وخلـــوا بيـــن هذا الرجل وبين ما هو فيه أو فاعتزلوه : فوالله ليكونن لقوله الذي ســـمعت مـــنه نبأ عظيم ، فإن تُصبْه العرب فقد كُفِيتُموه بغيركم ؛ وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به**) .

وهكـــذا فـــنَد عتبة الحجج المادية التي عرضها المشركون وفكروا فيها كحل نهائـــي ؛ لقد سمع ما لا يمكن أن يسمع من طالب مال أو منصب أو ملك أو رياسة ، سمع مالا يُمكِن أن يُسْمع من عند مخلوق ، وإذ كانوا جميعا يعلمون أن رســـول الله ﷺ أبـــر الـــناس بالخلق وأرحمهم وأعطفهم ، فلماذا يصدونه ولا يـــتركونه وشأنه فإن كانوا يطلبون العزة ففي ذلك عزهم ؟ وهكذا انقلب عرض المشركين وبالاً عليهم ــ ولو أطاعوه إذن لأفلحوا ــ ولكن النفوس قد ضـــربت علـــيه حجـــب كثيفة من الباطل من الصعب اختراقها فكان جوابهم (سحرك يا أبا الوليد والله بلسانه !) أي جواب هذا ! إنه الباطل دائما لا يقوم إلا على حجة داحضة تبحث عنها فلا تجدها ، لأنها في الواقع لا وجود لها إلا فـــي مخيلة صاحبها ، وسرعان ما تتهافت إذا ما سلَّط عليها الحقّ أضواءه ،

فيختفـــي الـــباطل ولا يظهـــر إلا الحق ﴿ **والذين كَفَروا أعمالُهمْ كسرابٍ بقيعةٍ يَحْسَـــبُهُ الظمـــآنُ ماءً حتى إذا جاءهُ لم يجدْه شيئاً ووجَدَ اللهَ عنده فوفَّاه حسابه . واللهُ ســـريعُ الحساب —٣٩— أو كظُلُماتٍ في بحرٍ لُجّيٍ يَغْشاه موجٌ من فوقه موجٌ مـــن فوقه سحابٌ . ظلمات بَعْضُها فوق بعضٍ إذا أَخْرَجَ يده لم يكد يراها ومن لم يجعلِ اللهُ له نوراً فما له من نور —٤٠—** ﴾ سورة النور .

وهنا تتغلب نفس عتبة عليه فيفضّل إرضاءَ قومه على اتباع لحق ، فيقول : (هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم) .

ولعل أثر هذا الموقف لم يتلاشَ من نفسه حتى وقعة بدر إذ قال لقومه قبيل المعركة :(فـــارجعوا وخلـــوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذاك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تصيبوا منه ما تريدون) وذهب عتبة ليكون عبرة لمن أرضى الناس فأعرض عما نزل من الحق .

وشـــك القرشيون في عتبة لأنه من بني عبد مناف ، ولذا تجدهم يرسلون مرة أخرى إلى رسول الله ﷺ ، يطلبونه ، فجاءهم رسول الله ﷺ ، وعرضوا عليه العرض السابق بصفة جماعية ، حتى ينتفي الشك فيمن يرسلونه .

فقـــال لهـــم صـــلوات الله وسلامه عليه :(ما بي ما تقولون. ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم و لا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني رسولا وأنزل علـــي كـــتابا . وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكـــم، فـــإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي، اصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم).

إن الحجة قد لزمت المشركين من حيث أرادوا المساومة : لقد عرضوا عليه ﷺ ما عرضوا من الدنيا ، فلم يقبل ، وكلهم قد أقر بأنه لم يسمع بمثل ما يتلوه ﷺ من القرآن ، وكلهم قد سلم بأمانته ﷺ حتى حكموه في أموالهم ، وكلهم أقر بسيادته حتى قبلوه لهم سيدا ، فمالهم عن هذا الحديث معرضون ؟

٢- " أيكون لنا الأمر من بعدك " !

كان رسول الله ﷺ قبل الهجرة يعرض نفسه في موسم الحج على وفود العرب التـــي تقبل من كل فج ، ويسأل عن منازل القبائل في عكاظ ، والمجنة وذي المجاز ، قبيلة قبيلة ، فيدعوهم إلى الإيمان بالله عز وجل وما أنزله عليه من الحق ، فيلقى منهم أذى كثيرا ، والقليل منهم كان يتلطف في الرد .

وأتى فيمن أتاهم بني عامر بن صعصعة ، فدعاهم إلى الإسلام وإلى نصرته فقـــال رجل منهم ــ يقال له بيحرة بن فراس: (والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب!) ثم قال : (أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك . ثـــم أظهـــرك الله على من خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟) فقال ﷺ : (الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء) قال : (أفنهدف نحورنا للعرب دونك ، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ؟ لا حاجة لنا بأمرك) .

إن الـــذي يشترط على الله تعالى في إيمانه ليس بمؤمن بالله تعالى ، وإنما هو مؤمـــن بمـــا اشترطه ، ولو كان مؤمنا حقا لما اشترط شيئا . فالإيمان يطهر القلوب من أن تقصد سواه عز وجل ، كما يرد جميع الأعمال التي لا تصدر عـــن ابتغاء وجه الله تعالى : كالأعمال الصادرة عن المباهاة والفخر والدعاية والطمـــع فـــي الشـــهرة وحب السلطة والتوصل إلى الحكم ، مهما كانت في مظهرها خيرة ، لأنها في الحقيقة لا ترتبط ولا ترتكز إلا على الغش والخداع والـــنفاق والـــرياء والتنازع والحقد ، والانقطاع عن الله تعالى . وإن المرء لـــيعمل بعمـــل أهـــل الجنة فيما يبدو وهو من أهل النار ؛ لأن باطنه متحقق بأوصافهم . وإن المرء ليظهر بأنه يعمل عمل أهل النار ؛ وهو من أهل الجنة لأن باطنه كباطنهم.

فـــلا يمـــن أحد بعلمه على أحد أو يتباهى به ويفخر على الناس ، قال أرحم الخلـــق بعباد الله تعالى (لا يدخل أحد منكم عمله الجنة ولا يجيره من النار . ولا أنـــا إلا أن يتغمدنـــي الله برحمته) رواه مسلم عن جابر ــ فلا منة لأحد علـــى أحد وإنما الفضل والمن لله ورسوله ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُـــولِهِ ثُـــمَّ لَـــمْ يَـــرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّـــادِقُونَ ــ١٥ــ قُـــلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّـــهُ بِكُـــلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ــ١٦ــ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْـــلامَكُمْ بَـــلِ اللَّـــهُ يَمُـــنُّ عَلَـــيْكُمْ أَنْ هَدَاكُـــمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ــ١٧** ﴾ سورة الحجرات.

ولمـــا عـــاد وفد بني عامر ، قصوا ما حدث على شيخ مسن منهم ، كانوا إذا رجعوا من الموسم حدثوه بما يكون فيه ؛ فقالوا: (جاءنا فتى من قريش ثم أحد بني عبدالمطلب يزعم أنه نبي ، يدعونا إلا أن نمنعه ، ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا) ، وأخبروه بأنهم لم يقبلوا .

فوضـــع الشـــيخ يديـــه على رأسه ثم قال: (يا بني عامر ، هل لها تلاف ؟ هل لذُنَاباهـــا مـــن مطْلب !؟ والذي نفسي بيده ما تقولها إسماعيل قط ، وإنها الحق فأين رأيكم كان عنكم !) .

٣- " أُخَيرَّكَ بين ثلاث خصال " !

كان عامر بن الطفيل أحد فتاك العرب وفرسانهم وشعرائهم ، نشأ محبا للفخر والرياسة ، يبذل في سبيل ذلك ما عنده من جهد ، ولا يبالي بعد ذلك أخطأ أم أصاب ، ما دام قد أشبع رغبته منهما .

اجتمع هو ويزيد[١] بن عبد المدان المذحجي عند أمية بن الأسكر المدلجي ثم الكناني ، وكلاهم راغب في زواج ابنته : فأقبلا على عادة العرب على المفاخرة أمام (أمية) ليختار خيرهما وأفضلهما لابنته . فأقبل يزيد على عامر فقال : (يا عامر. هل تعلم شاعرا من قومي سار بمدحه إلى رجل من قومك؟) فقال عامر : (اللهم لا.) قال: (فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدائحهم إلى قومي ؟) قال : (اللهم نعم.) قال: (فهل لكم نجم يمان ! أو برد يمان، أو ركن يمان !) قال: (لا). قال: (فهل ملكناكم ولم تملكونا؟) قال: نعم. فنهض يزيد وأنشأ يخاطب أمية بن الأسكر .

أُمـــيَّ يا بن الأسكر بن مدلج ... لا تجعلـــنْ هوازنـــا كمذْحِـــجْ

إنـــك إن تلهـــج بأمـــر تلجج ... مـــا النبع[٢] في مغرسه كالعوسج[٣]

ولا الصريح المحض كالممزج

فزوجها ليزيد ، ولج التهاجي بينه وبين عامر بن الطفيل .

وكـــان عامر يرسل مناديه في سوق عكاظ : هل من راجل فأحمله ، أو جائع فأطعمه ، أو خائف فأؤمنه . وكان يحقد على عمه رياسته لبني عامر ، فعقد النية على سلبها منه .

---

[١] سيد مذحج قتل سنة ٨ ق هـ .

[٢] شجر تتخذ منه القسي والسهـام .

[٣] نبات شوكي .

وكانت بنو عامر لا تقطع أمرا لا يحضره أبو براء عامر بن مالك بن جعفر وكـــان لفروسيته يلقب بملاعب الأسنة ، وله صلة قرابة بقريش إذ أن جدته لأبيه هي فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف .

وكان أبو براء قد كبر فأراد عامر أن ينتزع منه مكانته في قومه ونافسه على ذلـــك علقمـــة بـــن علاثة من بني الأحوص واستشرى الشر بينهما ولجأ إلى المـــنافرة وهـــي مـــناظرة تقوم بين طرفين تدور حول تفاخر كل منهما على الآخر ويحضرها حكم من زعماء العرب يرتضيه الطرفان المتنازعان فإذا ما حكم لأحدهما بطل حق الآخر ، وكثيرا ما كان ينتهي التحكيم إلى القتال ، لذا امتـــنع زعمـــاء العرب عن النظر في هذه المنافرة ، وممن قصداه أبا سفيان ابـــن حرب ، فلم يقل لهما شيئا وكره أن يتدخل في شأنهما وقال لهما : (أنتما كركبتي البعير الأدرم) ــ أي التي واراها اللحم فلم يظهر العظم ــ وأبى أن يقضي بينهما .

ثـــم تداعـــيا إلـــى هـــرم بـــن قطنة فسوى بينهما ولم يفضل أحداً على أحد مخافة الشر .

فســـارا إلى عكاظ حيث لقيا الأعشى[1] ميمون بن قيس ، وكان الأعشى مقبلا من اليمن وقد منحه الأسود[2] العنسي حين امتدحه خمسمائة مثقال من الذهن ، وخمسمائة مثقال من الحلل والعنبر .

وخـــاف الأعشـــى أن تســـلبه القطاع وخاصة من بني عامر ما معه إذا مر بأرضهم، فأتى علقمة بن علاثة فقال له: (اعقد لي حبلا[3]. قال: أعقد لك من بنـــي عامر ــ يقصد قومه ــ قال: لا يغني عني . قال: فمن قيس . قال: لا.

---

(1) مات سنة ٧ هـ باليمامة ولم يدخل في الإسلام .

(2) عيهلة بن كعب بن غوث ادعى النبوة بعد حجة الوداع وقتل .

(3)

قـــال : فمـــا أنا بزائدك . فأتى عامر بن الطفيل الذي رآها فرصة كي يغلب صـــاحبه إذ علـــم أنه لو أجار الأعشى لمدحه مدحة تسير في العرب وترفع عامـــر بـــن الطفيل على منافسه . فقال الأعشى لعامر : أجرني . قال : قد أجـــرتك . قـــال : من الجن والإنس ؟ قال : نعم . قال : ومن الموت ؟ قال: نعم! قال : وكيف تجيرني من الموت ؟ قال : إن مت وأنت في جواري بعثت إلـــى أهلك بالدية ! فقال : الآن علمت أنك أجرتني من الموت ثم مدحه وهجا علقمة وهذا ما يقصده عامر . ومع هذا لم يستطع عامر أن يغلب عمه وبقيت بنو عامر على ولائهم لملاعب الأسنة .

وقـــدم أبـــو بـــراء في أول سنة ٤هـــ إلى المدينة ، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإســـلام ، فلـــم يســـلم ولم يبعد وقال : (إن أمرك هذا الذي تدعو إليه حسن جميل. فلو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعَوْهُم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك) .

فقال رسول الله ﷺ : (إني أخشى عليهم أهل نجد) .

وكـــان أهل نجد أشر الناس على المسلمين بعد قريش ، ولو أسلموا لدخل في الإســـلام مـــن جاورهم من وسط شبه جزيرة العرب ، ولانفتح الطريق أمام الدعـــوة إلى الخليج العربي شرقا ، ولما كانت قبائل نجد تسيطر على طريق القوافـــل العراقـــي ، فإن إسلامها يُحْكِم حصرَ قريش اقتصاديا وحربيا وأدبيا ويجبرها على التسليم .

وإن موقف أبي براء يحتاج إلى أخذ عهد منه بجوار من يتوجه إلى بني عامر ولم يتردد أبي براء لثقتِه في قومه من إعطاء ذلك العهد فقال : (أنا لهم جار، فأبعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك) ، ومن عادة العرب أن القبيلة لا تخفر جوار زعـــيمها ، وبعد ما صرح أبو براء بتعهده أصبح إرسال البعث واجبا ، إذ لو

حـــبس المسلمون البعث عن بني عامر لعرفت ذلك القبائل ولكان معنى ذلك أنهم غير جادين في تبليغ الدعوة .

فبعث رسول الله ﷺ إليهم بعثا حددته بعض الروايات بسبعين رجلا من خيار المســـلمين ، وعليهم المنذر بن عمرو الساعدي . ومنهم الحارث بن الصمة ، وحـــرام بن ملحان (خال أنس بن مالك) وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي، ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهم .

خرج أولئك النفر من أصحابه ﷺ في صفر سنة ٤هـ حتى أتوا غاراً يشرف علـــى بـــئر معونة ما بين بني عامر وبني سليم وهي إلى بني سليم أقرب . وأرسلوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى بني عامر ، فلما وصل إلى ديارهم : نادى (يا أهل بئر معونة إني رسول رسول الله إليكم : إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله).

ونـــوى عامـــر أن يخفر جوار عمه لما كان يتطلع إليه من زعامة بني عامر فجـــاء وأخذ الكتاب من حرام بن ملحان ولم يقرأه ، بل عدا على ابن ملحان فقـــتله . واستصرخ عامر بن الطفيل بني عامر ، فلم يجبه منهم أحد وقالوا : (لـــن نخفـــر أبا براء فقد أجارهم) ، فاستصرخ بني سليم فأجابه منهم عصية ورِعل وذَكْوان ، وخرجوا يقتفون آثار ابن ملحان حتى أتوا أصحابه ، فمالوا عليهم ، ودافع المسلمون عن أنفسهم حتى استشهدوا عن آخرهم . إلا كعب بن زيد الأنصاري، فإنهم تركوه وبه رمق فعاش حتى استشهد ـــ رضي الله عنه ـــ يوم الخندق .

وكان في سرح المسلمين عمرو بن أمية الضمري والمنذر بن محمد بن عقبة الأنصاري ، فلما علما بما حدث قال عمرو بن أمية لصاحبه الأنصاري (أرى أن نلحـــق برسول الله ﷺ ، فنخبره الخبر) فقال الأنصاري : (لكني ما كنت

لأرغـــب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو). فأقبل على المشركين فقـــاتلهم حـــتى استشهد ، وأسر المشركون عمرو بن أمية ، وأطلقه عامر بن الطفيل عن رقبة زعم أنها كانت على أمه ، وذلك بعد أن جز ناصيته .

وعـــاد عمرو بن أمية إلى المدينة حتى إذا كان بينه وبينها ثماني برد لقي في طـــريقه رجليـــن من بني[1] عامر فعدا عليهما وقتلهما ثأراً لأصحابه. وكان لا يعلم أن معهما عهدا من رسول الله ﷺ ، فلما وصل المدينة أخبر رسول الله ﷺ بمـــا حدث . فقال ﷺ : (لقد قتلت قتيلين لأدينهما) وشق عليه ﷺ ما نال أصحابه وقال:(هذا عمل أبي براء ، قد كنت لهذا كارها متخوفا) .

وأخـــذ شـــعراء المسلمين يحرضون بني مالك على عامر بن الطفيل : يقول حسان بن ثابت :

بنـــي أم البنيـــن[2] ألم يرعكم ... وأنـــتم مـــن ذوائـــب[3] أهل نجد

تهكـــم عامـــر بأبـــي بـــراء ... لـــيخفره ومـــا خطـــأ كعمـــد

ألا أبلـــغ ربـــيعة ذا المساعي ... فمـــا أحدثت في الحدثان[4] بعدي

أبـــوك أبـــو الحروب أبو براء ... وخـــالك مـــاجدٌ حَكَـــمُ بن سعد[5]

---

[1] وفي رواية أنهما من بني سليم .

[3] أعالي .

[2] يقصـــد أم أبـــي براء وهي ليلى بنت عامر بن عمرو بن ربيعة بن صعصعة ، ويقصد بالبنين (طفيل ــ وعامر ــ وربيعة ــ وعبيدة الوضاح ــ ومعاوية) وكانوا فرسانا . وهم أربعة لأن ربيعة كان قد توفى .

[4] الحدثان : وائب الدهر : يقول هل أحدثت ما يغسل العار عن أبيك ؟

[5] مـــن القيـــن بـــن جسر من قضاعة : يقول إنك ماجد من طرفي الأب والأم فلا ينبغي لمثلك السكوت على الضيم .

وقال كعب بن مالك :

لقد طارت شعاعا كل وجه خفـــارة مـــا أجـــار أبـــو بـــراء

بنـــي أم البنيـــن أمـــا ســـمعتم دعـــاء المســـتغيث مع المساء !
وتـــنويه الصـــريخ بلـــى ولكن عرفـــتم أنـــه صـــدق اللقـــاء
فما صغرت عياب بني كلاب[1] ولا القـــرطاء[2] مـــن ذم الوفاء
أعامـــر عامـــر الســـوآت قدما فـــلا بـــالعقل فـــزت ولا بالثناء
أأخفـــرت النبـــي وكنـــت قدما إلـــى الســـوآت تجـــري بالعراء
فلســـت كجـــار جـــار أبي دواد ولا الأســـديّ جـــار أبي العلاء
ولكـــن عـــاركم داء قديـــم وداء الغـــدر فـــاعلم شـــر داء

فحمـــل ربيعة بن عامر على عامر بن الطفيل وطعنه بالرمح فأصاب فخذه ، ووثبـــت عصبة عامر على ربيعة فقال لهم عامر : (إن مت فدمي لعمي وإن أعش فسأرى رأيي) .

وفي عام الوفود سنة ٩ من الهجرة ، بدأت القبائل ترسل الوفود معلنة دخولها في الإسلام ، فقالت بنو عامر ، لعامر بن الطفيل : إن الناس قد أسلموا فأسلم فقال :" والله لقد كنت آليت أن لا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش".

واتفقت بنو عامر على إرسال وفد منهم ، إلى المدينة وكان يرأس الوفد اثنان مـــن شياطينهم : عامر بن الطفيل وأربد بن قيس بن جزء وهو أخو الشاعر لبيد بن ربيعة لأمه . واتفق عامر مع أربد على الغدر برسول الله ﷺ ، فقال له " إني شاغل عنك وجهه فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف " .

---

[1] قوم أبي براء من بني عامر.

[2] قرط وقريط ــ بفتح القاف ــ وقريط ــ بضمها ــ من بني كلاب.

فلما قدموا على رسول الله ﷺ ، قال عامر : (يا محمد ، خالني) أي صاحبني ويقصـــد الاتفاق . فقال صلوات الله وسلامه عليه : (لا والله حتى تؤمن بالله وحده) ثم أعاد الطلب ، فكرر رسول الله ﷺ الجواب .

وحينـــئذ قال عامر " (أُخَيِرّكَ بين ثلاث خصال : يكون لك أهل السهل ولي أهـــل المـــدر ، أو أكون خليفتك من بعدك ، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء).

فلما أبى رسول الله ﷺ . قال عامر (أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا) ثـــم انصرف ومن معه . فلما ولى قال صلوات الله وسلامه عليه (اللهم أكفني عامر بن الطفيل) .

وفي الطريق قال عامر لصاحبه أربد (ويحك يا أربد ، أين ما كنت أمرتك به؟ و الله مـــا كان على وجه الأرض أخوف عندي على نفسي منك ، وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا) .

فقال أربد : (لا أبالك ، لا تعجل علي ، فوالله ما هممت بالذي أمرتني به إلا دخلـــت بيني وبين الرجل ، أفأضربك بالسيف !) وفي الطريق اشتكى عامر وَرَمـــاً في رقبته فعرج أصحابهُ على بيت من سلول وتركوه هناك ، وعادوا فلما حضره الموت قال : (أغدة كغدة البعير ، وموت في بيت سلولية) يعني أنـــه لم يمت كما يموت الفرسان ، ولكن الموت أدركه عاجزا عن الحركة ، غريبا عن قومه وفي بيت اشتهر باللؤم !

٤- "لو سألتني هذا العسيب ما أعطيْتُكه "

في السنة العاشرة من الهجرة قدم وفد بني حنيفة إلى المدينة وفيهم مسيلمة بن ثمامة الكذاب ، وهو يستر نفسه بالثياب ومعه خلق كثير ، وكان يقول لقومه: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته ! ودخل الوفد على رسول الله ﷺ وخلفوا مسيلمة في رحالهم ، وأخبروا رسول الله ﷺ بشأنه .

جاء مسيلمة بهذا الركب لا ليُسْلم في الواقع ولكن ليساوم الله عز وجل ورسوله على السلطة والحكم ! وكان يظن أنه يستطيع أن يحصل على النتيجة التي يرغبها باصطحابه هذا الجمع الغفير من قومه .

وأقبل ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد رسول الله ﷺ قطعة من جريد حتى وقف على مسيلمة في رجال معه ، فقال مسيلمة : (إن شئت خليت بيننا وبين الأمر ثم جعلته لنا من بعدك!) فقال ﷺ : (لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتُكه ، ولن تعدو أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله ، وإني لا أراك الذي أُريتُ فيه ما رأيتُ ، وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني) .

ثم انصرف ﷺ .

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سأل أبا هريرة عن قول رسول الله ﷺ : (وإني لأراك الذي أريت فيه ما رأيت) .

قال ابن عباس : (فأخبرني أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمّني شأنُهما فأُوحِيَ إليّ في المنام أن أنفخهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي أحدهما العنسي والآخر مسيلمة .

وفي رواية (فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة) .

وانصرف وفد بني حنيفة ولم يلبث أن ادعى مسيلمة النبوة وأنه قد أُشْرِكَ في الأمـــر . وكتب إلى رسول الله ﷺ يقول : (من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، أما بعد ، فإني أشركت في الأمر معك ، وإن لنا نصف الأمر ، ولقريش نصف الأمر ، ولكن قريشا قوم يعتدون).

ودفعه إلى اثنين من رجاله فقدما به إلى المدينة .

ولما قُرئ الكتاب على رسول الله ﷺ قال للرجلين : (فما تقولان أنتما؟) قالا: نقـــول كمـــا قـــال ! فقـــال ﷺ : (أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما) ثم كتب إلى مسيلمة (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلـــى مسيلمة الكذاب ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإن الأرض لله يورثهـــا مـــن يشـــاء من عباده والعاقبة للمتقين) وكان ذلك في أواخر السنة العاشرة من الهجرة ، أي قبل وفاته صلوات الله وسلامه عليه بقليل .

وأخـــذ مسيلمة يحلل ويُحرِّم ويبتكر للناس دينا من عندياته شأنه شأن أصحاب الدعـــاوى الشاذة : فوضع عن الناس الصلاة وأحل لهم الخمر والزنا والنهب والسلب.

وهو مع ادعائه هذا يشهد بالنبوة والرسالة لرسول الله ﷺ .

وفي هذه القصة من دلائل نبوته صلوات الله وسلامه عليه : ــ

١- إن نـــزول القـــرآن العظيم هو إعلان للعالمين بختم النبوات والرسالات الإلهية ، وقد فصّل التنزيل الحكيم الشريعة الخاتمة وبيّن خصائصَها لتكونَ لله عـــز وجل الحجة على الناس جميعا ، فمن ضل فلا يلومن إلا نفسه . وأعلن رســـول الله ﷺ للعـــالم أجمع كل ما يتعلق بالشريعة الخاتمة ، بما لا يدع أي مجال لريبة أو لشك بأنه لا نبي بعده .

وقد اجتمعت فيه صلوات الله وسلامه عليه النبوة الخاتمة ودلائلها وخصائصها وشرائطها ، فمن ادعى النبوة بعد هذا البيان المحمدي الخالد فهو كاذب ، ومن وقـــع في شراكه فهو ضال مضل ، ولو لم يخبرنا صلوات الله وسلامه عليه بأنـــه لا نبي بعده ، لكانت صفاته وخصاله وسيرته كافية في الدلالة على ذلك وكفي بالإعلام القرآني للعالمين برهانا .

٢- نص رسول الله ﷺ على خروج الكذابين ومنهم مسيلمة والأسود العنسي ، حـــتى يعلم الناس جميعا أن هناك من البشر من هو ساقط الكرامة إلى درجة ادعـــاء النبوة والافتراء على الله عز وجل ، بل ظهر منهم في القرن التاسع عشر والعشرين من ينفي الالوهية ويدعو إلى الاشتراكية العلمية[١] المؤسسة على هذه العقيدة واتبعه أراذل العالم من الشعوب التي لا تفقه شيئا.

٣- نص صلوات الله وسلامه عليه على قتل مسيلمة قبل حدوثه .

٤- نص على فضل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ــ ضمنا ــ فهو ذلك الروح الذي نفخ مسيلمة وأطاره بإذن الله .

٥- تتضـــح الحكمة في قوله صلوات الله وسلامه عليه (وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني) ، مما يأتي : ــ

بعـــد وفاته صلوات الله وسلامه عليه سير أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عكرمة بن أبي جهل وشرحبيل بن حسنة لقتال بني حنيفة ففشلا ، وحينئذ ســـير خالد بن الوليد لقتالهم ، فالتقى معهم في وقعة ــ عقرباء ــ وكان قيس ابن ثابت صاحب لواء الأنصار والانتصار .

---

[١] وقـــد نـــص الميـــثاق الناصري في الباب السادس على الإيمان بالاشتراكية العلمية واتخاذها طريقا للحياة !!

روى البخاري مختصرا والطبراني مطولا عن أنس أن ثابت بن قيس لما انكشف الناس يوم اليمامة قال : (ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ ، بئس ماعودتم أقرانكم . الله إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ومما صنع هؤلاء) ثم قاتل حتى استشهد ، وهذا هو الجواب الخالد الذي رد به ثابت على مسيلمة الكذاب .

ومن نظر إلى حال أصحاب الدعاوى الباطلة عرفهم بسيماهم وأخلاقهم وأفعاله وسلوكهم ، وعلاقاتهم بغيرهم ، فما بالك بمن انحط إلى الدرك الأسفل في التضليل والتزوير ! فلا أبشع ولا أحط ممن يكذب على الله تعالى . ومن ألقى نظرة عابرة على هؤلاء وأمثالهم لم تخف عليه صفاتهم وعلاماتهم ومنها:ـ

١- أن الدعوى تكون صادرة عن سبب لا يمت بصلة إلى ما يليق بكمالات الله عز وجل ولا إلى المصلحة العامة للبشر : ففي حالة مسيلمة : نجد أن بني حنيفة ينتمون إلى ربيعة ، ولما رأى هؤلاء أن نسب رسول الله ﷺ ينتمي إلى قريش ثم إلى مضر ، حقدوا على قريش خاصة وعلى مضر عامة لما بينهم من تنافس واعتقدوا أنهم لا يستطيعون أن يضاهوا مضر في المكانة والمنزلة إلا إذا كانت فيهم النبوة فادعوها ، وبهذا الإدعاء قامت عليهم الحجة ، لأنهم يريدون أن يعلموا الله عز وجل أي يضع رسالته !

وبهذه النظرة العصبية الضيقة ضلوا عن تعاليم الإسلام ، إذ ليس في الإسلام مضري وربعي ويمني الخ بل هناك مؤمن ومنافق وكافر ، أما المؤمنون فأكرمهم عند الله أتقاهم ، فسلمان مع أنه فارسي نص الحديث على أنه من أهل البيت .

والإســـلام شـــريعة الله الشاملة للعالمين وهو ليس بحكر لمخلوق حتى ينفس إنســـان علـــى آخـــر تميزه عنه بالإسلام ، فجميع الناس سواء في الإسلام ، لا فـــرق بين جنس وجنس ، أو لون ولون ، أو نسب ونسب ، ولا فضل إلى فـــي العمل بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه وكل مؤمن قلعة من قلاع الإسلام فلا يؤتين الدين من قبله .

فـــالدافع إذن لادعاء مسيلمة النبوة هو الدافع القبلي ، ولم يكن هذا خافيا على أتباعه ، فقد روى الطبري عن زعيم من بني حنيفة أنه كان يقول (أشهد أن مســيلمة كـــذاب وأن محمدا صادق ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضـــر !) فالحقد يورث أحط الصفات وأدناها ، ويصرف الإنسان عن وجه الحق إلى الباطل على علم بذلك ومعرفة به ، ونحن نصادف في حياتنا اليومية كثـــيرا مـــن الأمثلة الشاهدة على ما يفعله الحقد وما يتركه من آثار سيئة في النفوس حتى إن الشخص ليعلم تمام العلم أن الحق مع غريمه ولكنه ينصرف عنه حقدا وعنادا ، وكراهية واستكبارا .

٢- وإن الذي يدعي النبوة كذبا تنقطع صلته بالله عز وجل ، وفي نفس الوقت يدعـــي أمـــام الـــناس أنه في جميع أحواله إنما يتّبع الوحي ، ومعنى ذلك أنه سيكذب ثم يكذب ثم يكذب حتى يتناول الكذب جميع شئونه ، وكل شيء يقوله أو يفعلـــه ، وهذا وجه من وجوه الحكمة في إطلاق الكذب على مسيلمة دون باقي الصفات .

٣- ومـــن هنا تصبح لهذا المدعي صفات نفسية خاصة يتميز ويعرف بها : كـــالجهل ، واتباع الهوى واللؤم ، والأنانية ، والتمسك بالمصالح الذاتية دون سواها والتبرير والإسقاط الخ ....

٤- ولمـــا كانت الدعوى كاذبة لا أساس لها فإن صاحبها يتميز بالاضطراب في القول والفعل والتناقض فيما يصدر عنه ، وكان أتباع مسيلمة كلما كشفوا عن ذلك يقول لهم بدا كذا وبدا كذا . وعقيدة البداء كفر لأن الذي يغير ويبدّل فيما يأمر به وينهى عنه كلما بدا له ما هو أفضل ليس بإله . بل مخلوق ضال مضل لا يثبت على شيء .

٥- الأمـــر بالمنكر وإباحة ما يؤدي إلى فساد الإنسان والمجتمع البشري وقد أباح مسيلمة الزنا والخمر وهتك الأعراض والسلب والقتل .

٦- النهي عن المعروف أو سلوك السبل التي تؤدي إلى انقطاعه .

٧- قطـــع صـــلة الإنســـان بالله عز وجل ولذا كان أهم أوامر مسيلمة إبطال الصلاة.

٨- طلـــب الدنـــيا والتّدنّي في طلبها بأخس الطرق ، فالمنفعة أو الغاية تبرر الواسطة . ولذا نجد أن أصحاب الأيديولوجيات الدنيوية ينتهي بهم الأمر إلى سلوك كل ضلالة تؤيد ما يعتنقونه .

٩- اتباع أحقر القيم وأخسها في السلوك والمعاملات والعلاقات .

١٠- تـــرك الـــناس علـــى هواهـــم : فكـــان مسيلمة يحلل ويحرم ما يطلبه أتباعه منه.

١١- وضـــع الدعـــوى موضـــع المســـاومة كمساومته مع سجاح وقد ادعت النبوة مثله !

١٢- وهناك أمر يحتمها هذا الإدعاء الكاذب وهي لا تخفى على من له عقل ومنها :

- الجهـل بكمـالات الخالق سبحانه وما يليق به عز وجل من الأسماء والصفات .
- الجهل بعبادة الله عز وجل ومراتبها .
- الجهل بالنبوة وكمالاتها .
- الجهل بالحق ، والخير ، والقيم الصالحة المفضية لسعادة البشر .
- والجهل بما يصلح به الفرد والمجتمع الخ ....

وإن أيـة دعـوى عالمـية بعد دعوة الرسالة الإلهية العامة فهي باطلة شكلا وموضـوعا ، لفظا ومعنى ، فرعا وأصلا ، قلبا وقالبا ، نصا وروحا ، ولا يمكن لمخلوق كائنا ما كان أن يدعي أنه قد توافرت فيه الشروط العلمية التي تقتضـيها الدعوة العامة للعالمين ، بعد أن نص إمام المرسلين بقوله (لا نبي بعدي) وأي دعوة تصلح لبشر بعد النبوة الجامعة والرسالة الشاملة العامة التي فصلت للناس كل شيء ! وإن الوقائع كفيلة بتفنيد جميع الدعاوى الصادرة عن الفلاسـفة وغيرهم ممن حاولوا وضع نظم إنسانية عالمية ، وإذا بالنظم التي وضعوها تنطبق عليها جميع الشروط التي تنطبق على مسيلمة وأضرابه . ولم تكن سوى محاولات للهروب من الله عز وجل إلى أديان وضعية من عنديات المفكريـن . فإذا ما بحثوا في حقيقة هذه الأديان الوضعية التي هربوا إليها لم يجـدوا شيئا ، ووجدوا الحق الذي يدمغ باطلهم ، والأدلة التي تهيب بهم : إن آمنوا بالرسالة المحمدية الخالدة . آمنوا بهذا النور الساطع والحجة البالغة فلم تـبق فـي الوجـود حقيقة دقت أو جلت إلا وهي منطوية في الكتاب العزيز والسنة المكرمة وماعدا ذلك فهو باطل صراح ﴿ **وقُلْ جَاءَ الحقُّ وزَهَقَ الباطلُ إنّ الـباطلَ كـان زَهُوقاً** —٨١- **وننزلُ من القرآنِ ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين ولا يـزيدُ الظالمين إلا خَسَاراً** —٨٢- ﴾ سورة الإسراء ـ ﴿ **بل نَقذفُ بالحقِ على الباطلِ فيدمَغُهُ فإذا هو زاهقٌ . ولكُمُ الويلُ مما تصِفُون** —١٨ ﴾ سورة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم .

٥- " إن أنتم أقررتم بالإسلام أقاضيكم "

كانـــت هـــوازن من أقوى قبائل قيس عيلان ، ومن أقوى قبائل هوازن ثقيف وكانت تسكن منطقة الطائف وهي أخصب الجهات الداخلية في شبه الجزيرة العربية ، وقد هيأ هذا الخصب لثقيف ، ما يشبه الاكتفاء الذاتي ، وقد عرف الثقفـــيون مـــا اختصُّـــوا بـــه من مميزات اقتصادية فاستماتوا في الدفاع عن منطقـــتهم ، ولمـــا كانوا محط أنظار القبائل المجاورة لثرائهم فإن اصطدامهم المستمر بالغزاة والطامعين جعلهم من أشد القبائل بأسا .

ولعـــل هـــذا الوضـــع هو السبب في امتيازهم من الناحية الدينية ، إذا كانوا يتمتعون بمركز يلي مركز قريش الديني ، فكانت عندهم بالطائف أشهر آلهة العـــرب بعد آلهة مكة وهي اللات ويسمونها الطاغية ، وقد يكون هذا اللقب مستمد من طبيعة ثقيف نفسها ، واللات عبارة عن صخرة مربعة ، بنوا عليها بناءً يضاهون به الكعبة ، وكانت قريش و جميع العرب يعظمونها ، ويكسونها كما يكسون الكعبة ، ويحرِّمون واديها وكانت سدانتها في آل أبي العاصي من بني عتاب بن مالك .

وارتبطـــت ثقـــيف بقريش عن طريق المصاهرة و الحلف ، وكان أشد بيوت قـــريش ارتـــباطا بثقيف من ناحية النسب : البيت العبشمي فكانت سبيعة بنت عـــبد شمس عند مسعود بن معتب بن مالك وأختها رقية عند أبي الصلت بن ربـــيعة من بني عقدة من ثقيف وهي أم الشاعر أمية بن أبي الصلت. وكانت كـــنود بنـــت عبد أمية بن عبد شمس عند حبيب بن عمرو بن عمير من بني عقدة أيضا وهي أم الفارس أبي محجن . وعمرو بن عمير هو الذي قال فيه الولـــيد بـــن المغيرة معترضا على نزول القرآن العظيم على رسول الله ﷺ (أينزل على محمد و أترك وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود عمرو بـــن عمير الثقفي سيد ثقيف ونحن عظيما القريتين !!) كبرت كلمة تخرج من

أفواههـــم. وكانـــت صفية بنت أمية بن عبد شمس عند أبي العاص بن بشير وأخـــتها أميمة بنت أمية بن عبد شمس عند عمرو بن وهب الثقفي ، وريحانة بنت أبي العاص بن أمية عند عثمان بن أبي العاص بن بشير الثقفي . وتزوج حرب بن أمية بن عبد شمس فاختة بنت عامر بن متعب فولدت له أم جميل زوجـــة أبـــي لهب . وكان أبو سفيان بن حرب كثيرا ما يتردد على الطائف للوشـــائج التي تربطه بثقيف : فكانت ابنته ميمونة عند أبي مرة بن معتب ، وأخـــتها أم الحكـــم عـــند عـــبدالله بـــن عثمان الثقفي ، وآمنة عند عروة بن مسعود الثقفي .

وممـــن حضـــر مولد رسول الله ﷺ من نساء ثقيف فاطمة بنت عبدالله قالت (رأيت البيت حين وُضِع امتلأ نورا)

ولصـــلة النسب بين بني عبد شمس من قريش وبين ثقيف وخاصة بني معتب تمكـــن بعض العبشميين مثل عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس من اقتناء البســـاتين فـــي الطائف ، وكان بنو معتب وبنو عبد شمس يترددون بين مكة والطائف نظرا للصلات التي تربطهم .

وكانـــت ثقيف من القبائل التي عرض رسول الله ﷺ عليها الإسلام فردته رداً مؤلمـــا عنيفا . ففي ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة ، بعد وفاة أبي طالب ، خرج رسول الله ﷺ من مكة ليعرض نفسه على القبائل وقد اصطحب معـــه زيـــد بن حارثة ، فلما انتهى إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف وهم يومـــئذ ســـادتها وأشرافها وهم : عبد ياليل بن عبد كلال ومسعود وحبيب ابنا عمـــرو بـــن عمير بن عوف ، وكان حبيب مصاهراً للبيت العبشمي ، وأحد الرجلين الآخرين مصاهراً لبني جمح ، فلما كلمهم رسول الله ﷺ .قال أحدهم: أمـــا وجد الله أحداً يرسله غيرك ! وكأنه يعرِّف الله عز وجل على من ينزل

القرآن العظيم ! وقال آخر " والله لا أكلمك أبدا : لو كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام . ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك ."

ومكث رسول الله ﷺ يدعوهم إلى الله عز وجل عشرة أيام ، ولم يدع شريفا فيهم إلا وبلغه الدعوة ، حتى طلبوا منه أن يخرج عنهم ، وقد لقي من أذاهم ما لقي من قومه ، ولما انصرف ﷺ راجعا إلى مكة أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يؤذونه بالقول والفعل ، وجلسوا له في صفين على طريقه فكان لا يرفع ﷺ قدميه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة فكان إذا أذلقته الحجارة، وبلغ منه الجهد جلس إلى الأرض ، فإذا استراح سار فيستأنفون الإيذاء وكان زيد بن حارثة يقيه بجسمه حتى شج رأسه ، حتى إذا بلغ رسول الله ﷺ حائط بستان جلس يستظل بظله وهو يقول (اللهم[1] إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس . يا أرحم الراحمين أنت أرحم بي من أن تكلني إلى عدو يتجهمني أو إلى قريب ملكته أمري ، إن لم تكن ساخطا علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك ، ولك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك) .

شهد صاحبا البستان ما حدث ، وكانا من قريش ، وهما عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وكيلا يقال أنهما لم يعطيا القرابة حقها ــ وكان الواجب أن يتدخلا في الأمر ــ اكتفيا بإرسال غلامهما عداس بطبق فيه قطف من عنب إلى رسول الله ﷺ.

---

[1] أخرجه الطبراني عن عبداله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما . ويسمى دعاء الطائف .

فلما جاء وسمع كلام رسول الله ﷺ قال (والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد !) فسأله صلوات الله وسلامه عليه (ومن أي البلاد أنت يا عداس ، وما دينك ؟) فأجاب بأنه نصراني من أهل نينوى . فقال ﷺ (من أهل قرية الرجل الصالح يونس بن متي) فبهت عداس وقال (وما يدريك ما يونس بن متي؟) فقال ﷺ (ذلك أخي كان نبيا وأنا نبي) فسقط عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه . وجاء في السيرة لسليمان التيمي أنه قال : أشهد[1] أنك عبدالله ورسوله .

وكان عروة بن مسعود من وجهاء ثقيف ، رحل إلى فارس والروم والحبشة ، مما أكسبه خبرة واسعة وتجربة وحنكة واطلاعا على أحوال المجتمعات المتباينة ، وكان محبوبا في قومه ، محبا لهم ، لا يسعى إلا في إصلاح ذات بينهم ، عَدَيَ المغيرة بن شعبة ــ من بني معتب ذات يوم على جماعة من بني مالك فقتلهم ، وكان ذلك قبل إسلام المغيرة ، فتهايج بنو مالك وبنو معتب رهط المغيرة ، وأوشكت الحرب أن تنشب بين قبائل هوازن كلها ، فتدخل عروة وتمكن من تسوية الدم ، وغرم دية جميع من قتلهم قريبه ــ المغيرة ــ. وكان عروة لصلة القرابة بينه وبين قريش كثير التردد على مكة ، وكان القرشيون يحبونه ، فكان محلا لثقتهم ، ولما سمع بقدوم المسلمين عام الحديبية قدم مكة معضدا لقريش ، وقد و جد القرشيين في هرج ومرج يتحرشون بالمسلمين ويصدونهم عن البيت الحرام .

---

[1] ذكر الواقدي في قصة بدر عن حكيم بن حزام ، أن عداسا حين خرج عتبة وشيبة أبنا ربيعة إلى بدر أخذ بأرجلهما يقول : بأبي وأمي أنتما ، والله إنه لرسول الله ، وما تساقان إلا إلى مصارعكما . ومر به العاص بن شيبة فوجده يبكي ، فسأله عن سبب بكائه ، فقال (يبكني سيداي وسيدا هذا الوادي يخرجان فيقاتلان رسول الله) فقال له العاص : إنه لرسول الله ؟ فانتفض عداس واقشعر جلده وقال (إي والله إنه لرسول الله إلى الناس كافة) وذكر الواقدي من وجه آخر ، أنه نهاهما عن الخروج وهما بمكة فخالفاه .

ولم يكن من حق قريش أن تمنع أحداً من زيارة البيت بل كان عكس ذلك هو الواجب عليها ، وهو ما يقتضيه وضعها بين القبائل العربية ومكانتها الدينية ، وأكد ما يكون ذلك في الأشهر الحرم ، إلا أنها خشيت إن هي أذِنَتْ للمسلمين بدخول مكة أن يفرض عليهم تيسير الزيارة للمسلمين كل عام ولا يخفى على قريش أن البيت الحرام هو قبلة المسلمين ولن يتركوا قريشا وشأنهم بالبيت، بل لابد من أنهم سيطهرونه من الأصنام ، فهذه الزيارة في نظر قريش إذا تم لابد وأن تؤدي إلى تهديد مكانة المشركين الدينية، وإلى إزالة آلهتهم من الوجود، وهي نذير بانتشار الإسلام، هذا بالإضافة إلى مافيها من الكسب السياسي .

لذا أرسلت قريش مندوبيها إلى المسلمين بقصد استثارتهم ، ولكنهم كانوا بعد مقابلتهم لرسول الله ﷺ ، يتهمون قريشا بصد الناس عن زيارة البيت ، وهذا مالا تملكه ، فهي تقف موقف الظالم المتعدي ، وكان زعماء قريش يفهمون ذلك تمام الفهم ، ويخشون أن يفوت عليهم مندوبوهم الهدف الذي كانوا يسعون للوصول إليه ، ويخشون أيضا أن يشاع ويذاع على لسان مندوبهم أنهم يصدون عن البيت الحرام ، فيتحرج موقفهم إزاء العرب جميعا ، لذا كانوا يستقبلون مندوبيهم بالسباب والتوبيخ لعدم فهمهم وجهلهم بقصد قريش .

ولما رأى عروة هذا قال (يا معشر قريش إني قد رأيت ما يلقى من بعثتموه إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وأني ولد، وقد سمعت بالذي نابكم فجمعت من أطاعني من قومي ثم جئتكم حتى أسيتكم بنفسي).

قـــال (صـــدقت ، مـــا أنت عندنا بمتَّهم) ووافقوا على ندب عروة لمحادثة المسلمين نيابة عن قريش . فخرج عروة حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه ، وكان الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه يجلس خلف رسول الله ﷺ، والمغيرة بن شعبة يقف إلى جواره لابسا لامته .

فقال عروة مهددا (يا محمد ، جمعت أوشاب الناس، ثم جئت بهم إلى بَيْضَتِك ــ أي بلدك ــ لتفضها بهم. إنها قريش ! قد خرجت معها العوذ المطافيل، قد لبســوا جلود النمور ، يعاهدون الله لا ندخلها عليهم عنوة أبدا، وأيم الله لكأنّي بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا) .

فــرد علــيه الصديق رداً قاسياً وبأنهم لن ينكشفوا عنه. فقال عروة (من هذا يــا محمــد ؟) فقال ﷺ (هذا ابن أبي قحافة). فقال عروة (أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ولكن هذه بها).

وكـــان أثـــناء الحديـــث يمد يده إل لحية رسول الله ﷺ ليُمْسِكها وهو يكلمه ، فــيقرع المغــيرة يده ويقول (أكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك) . فقال عروة للمغيرة (ويحك ما أفظك وما أغلظك) ولم يعرف عـــروة قريبه إذ كان لباسه الحربي يستره فتبسم رسول الله ﷺ . فقال عروة (مـــن هذا يا محمد ؟) فقال ﷺ (هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة) . فعجب عروة لجرأة المغيرة عليه وهو عم والده ، وعجب كيف يتنكر له المغيرة في هــذا الموقــف الذي كان ينتظر فيه أن يحمَى لقرابته ، وأن يسكت عنه على الأقل ، فقال (أي غدر ! وهل غسلت سوأتك بالأمس) يشير إلى الديات التي غــرمها فيمــن قتلهم المغيرة قبل إسلامه . ولو علم عروة ما هو الإيمان لما عجب من ذلك ، بل إن عروة نفسه سيسعى فيما بعد إلى الشهادة في سبيل الله تعالى طائعا مختارا ، جذلا مسرورا .

أُفْحِمَ عروة ، ولم يجد ما يجيب به رسول الله ﷺ ، إذ لا يصح قتال من جاء لـــزيارة البيت مجال ، وكان عروة يظن أنه سيجلس مجلسا يتنازع فيه القوم الكلام ، ويعلو فيه الجدل والصخب ، فوجد غير ما ظن وغير ما اعتاد ، وجد مجلســا لم يره في حياته ، في الكمال وحسن السمت وأدب الحديث ، مجلس يُجْــبَرُ المتحدث على تجنب اللغو ، وإذا ما تجاوز حدوده وجد من يرده إلى الموضوع الذي جاء من أجله ليتكلم فيه رأساً .

وعاد إلى قريش والدهشة تملكه من فرط ما رآه من حب ا لصحب لرسول الله ﷺ ، وتفانيهم في طاعته ، والطاعة هنا غيرها في أي مجتمع آخر ، الطاعة هنا ذاتية مقترنة بالحب العميق والولاء والإخلاص والصدق والاحترام، بينما هي في المجتمعات الأخرى تكون مفروضة من الخارج ، فهي طاعة تفرضها القــرابة أو القوة ؛ أو الجاه أو السلطان . كما دهش عروة حين شهد استعداد المسلمين للصلاة وهذا شيء لم يألفه ولم يره في حياته .

ولمــا جــاء مجلــس قريش وكان ينتظره قال (يا معشر قريش ، إني جئت كســرى فــي ملكــه ، وقيصــر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا قروا رأيكم) .

ولــم يشأ عروة أن يعرض نفسه لسخط قريش خشية أن يجبِّهوه بما جبَّهوا به رسلهم من قبل ، واكتفى بالتلويح إلى الاتفاق مع المسلمين بدلا من الاختلاف معهم .

ولما وجدت قريش أن خطة الاستفزاز قد فشلت جنحت إلى المسالمة وانتهت القضية بينهم وبين المسلمين بصلح الحديبية .

وبدأت هوازن وقبائلها ومن بينها ثقيف تدخل في صراع مع المسلمين ، حين وثب عامر بن الطفيل على وفد بئر معونة في السنة الرابعة من الهجرة وقتلهم جميعا، وكان عامر يتطلع لا إلى زعامة بني عامر بن صعصعة بل إلى زعامة هوازن كلها ، وقد ورط هوازن بفعلته هذه في حرب مع المسلمين .

وفي شعبان سنة سبع من الهجرة أرسل رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب إلى تربة وتسكنها مؤخرة هوازن وهي على مسيرة يومين من مكة ، فهرب أهلها ولم يلق منهم أحدا وعاد إلى المدينة . وفي ربيع الأول سنة ثمان توجهت سرية بقيادة عامر بن وهب الأسدي إلى بني عامر فلقيه جمع من هوازن فانتصر عليهم .

ثم اتفقت كلمة هوازن وثقيف على إعداد العدة للقضاء على المسلمين واستقر الرأي على جمع المؤن من الطائف استعدادا لما عساه يحدث ، فقد يحصرها المسلمون إذا نشبت الحرب . وفي نفس الوقت قرروا إرسال بعث إلى اليمن ليتعلم صناعة الدبابات[1] والمجانيق[2] والضبور[3] لاستخدامها في الهجوم على المدينة قلعة المسلمين . وانتدبوا لهذه المهمة اثنان من أشراف ثقيف عروة بن مسعود ، وغيلان بن سلمة بن معتب ، فوصلا إلى جرش باليمن حيث تصنع هذه الآلات .

---

(١) أشبه بحجرة مصفحة تصنع من الخشب وتغشى بدرع واقي من الجلد أو غيره ولا أرضيه لها وتسير على عجلات ، ولها باب يدخل فيه العدد الذي تسعه من المقاتلين الذي يسيرونها بالدفع من الداخل حتى تصل إلى العدو .

(٢) آلة من آلات الحصار لرمي الأحجار الثقيلة .

(٣) تشبه الدبابات وبها أدوات لنقب الحصون .

وفي خلال إقامتها باليمن بلغتهما أخبار هزت الجزيرة العربية كلها ، فقد فتح المسلمون مكة في رمضان سنة ثمان للهجرة ، وتهافت أصنام العرب تهافت الذباب منها :

هبل : وكان في جوف الكعبة على البئر التي يجمعون فيها ما يهدى إلى الكعبة وكان عند سادنه سبعة أزلام يستقسمون بها ، هذا عدا ثلاثمائة وستين صنما حول الكعبة .

العزى : وهي وثن بنخلة تعظمه العرب وقد هدمه خالد بن الوليد وقطع شجرة عنده كانوا يعظمونها !

منـاة : كانت بسيف البحر ويعبدها الأزد وقد هدمها سعد بن زيد .

سواع : كانت في واد من مكة يقال له : وادي نعمان من بلاد هذيل وقد هدمها عمرو بن العاص .

ولم يبق شرق مكة سوى اللات صنم ثقيف . ولقد فعلت البعوث التي أرسلها رسول الله ﷺ لتحطيم الأصنام المشهورة لدى العرب أكثر مما تفعله الجحافل والجيوش في نفوس العرب ، فقد كانت هذه الأوكار هي المتكأ الذي تتوكأ عليه عقيدة الشرك ، و لقد ترك تحطيمها العرب ــ الذين لم يدخلوا بعد في الإسلام ــ في فراغ ديني يعيشون فيه بلا نظام ، وكان محركا يدفعهم إلى التفكير الجدي في تفاهة هذه الأصنام ، مما قادهم إلى معرفة ضلالهم والدخول في الإسلام . وقد تم تحطيم الأصنام بسرعة فائقة حتى تنهار عقيدة الشرك من أساسها .

بلغت هذه الأنباء عروة وصاحبه وهما يتعلمان صناعة آلات الحرب لقتال المسلمين ! وكان عروة يخشى أن يفضي بما يساوره لصاحبه غيلان خشية ألا يوافقه أو لا يتجاوب معه في شعوره . لقد هدمت الطواغيت التي تحجب الناس عن خالقهم . هذه الطواغيت التي ينحتها البشر بأيديهم ثم يخطون لها حرما آمنا ، ليتقدموا إليها بالقرابين كي تحميهم أو تقربهم من خالقهم ! وأيهما أقرب إلى الخالق : الحجر الذي ينحته الإنسان بيده أم الذي نحت الحجر ! وهاهي الأحجار تملأ الجبال ولا تبدي حراكا ، ولا ترد عدوانا . إنها لا تدفع شراً ولا تجلب نفعا ، إنها جماد مسخر للإنسان : وي ما أتعس الإنسان إذا ما ابتعد عن الرسالات الإلهية ، ما أتفهه ، ما أحقره ، وهو نفسه يعترف بهذه الحقارة حين يقدس الحجر ويرفعه إلى مرتبة أعلى من مرتبته ، من مرتبة الإنسان ! لقد بقيت الطاغية بعد هذا كله ! فهل ستدفع المسلمين عن ثقيف ، وكيف يثق أحد بها بعد انهيار أصنام كانت أقوى مكانة منها لدى المشركين ؟ هبل مثلا !

إن حديث رسول الله ﷺ وهو يدعو ثقيفا للدخول في الإسلام — قبل الهجرة — لا يزال يملأ نفس عروة . وإن لقاءه مع رسول الله ﷺ في الحديبية لا يزال ماثلا أمام ناظريه : وكان رسول الله ﷺ يومئذ قادرا على رد الإساءة بمثلها ، وكان قادرا على الانتقام من عروة لفظاظته وغلظته في خطابه ، ولكنه صلوات الله وسلامه عليه كان يستمع إلى تهديد عروة ووعيده بوجه يطفح بشرا ، بوجه يسمع منه نداء الإيمان بالله عز وجل يملأ الأرض كلها . أما آن لك أن تؤمن يا عروة ؟ وحتى متى هذا الضلال !

وإذا برجل من هوازن قد أقبل عليهما فسألاه بلهفة عما وراءه ، فأخبرهما أنه لم يستطع دخول الطائف لحصار المسلمين لها ! كما أخبرهما بهزيمة هوازن

وثقيف في وقعة حنين . ولم يكن هناك ثمة داع للبقاء بعد هذا . فحزّم الرجلان متاعهما وكرا راجعين إلى الطائف . وفي خلال عودتهما كان المسلمون قد رفعوا الحصار عن الطائف لدخول شهر ذي القعدة وهو من الأشهر الحرم . ووصلتها الأخبار بأن هوازن قد أرسلت وفدا أعلن إسلامها . بل إن قائد المشركين يوم حنين مالك بن عوف النصْري قد دخل في الإسلام.

واهاً لك يا عروة أين ما عُرِفْتَ به من سداد الرأي والحكمة ؟!

عاد عروة فوجد الأمور قد تغيرت عن حالتها الأولى : فقد أسلمت هوازن بل وأسلم آل عوف النصريون سدنة (جهار) صنم هوازن ، وأين جهار هذا ؟ لقد هدم بعكاظ ! إذن لقد أسلمت هوازن وبقيت ثقيف في الضلالة العمياء تعتصم بالطائف . وعزم عروة على أمر لم تعلمه ثقيف .

كان من عادة عروة أنه إذا ما جاء من سفر أن يبدأ بالطاغية فيزورها ويقدم المال لسادنها ، إلا إنه لم يفعل هذه المرة ، فقد أصبح لا يطيق النظر إلى هذا الصنم الأخرس الذي لا صلاح لقومه مع وجوده ، وحز في نفسه أن تتحرر بقية هوازن من أصنامها بينما تستمر ثقيف أسيرة اللات ! ومما زاده ضيقا : هذه الادعاءات التي ينشرها سدنة اللات : فبعضهم يسند إليها أنها كانت تدفع المسلمين بنفسها ! وآخرون يقولون إنهم رأوها وهي تحرس حصون الطائف! وكلما كثرت هذه الدعاوى كلما أمطرها المعتقدون بوابل من القرابين والأموال كي ترضى عنهم! يا ويل ثقيف ثم يا ويلها ! إنها تشاقق الله ورسوله من أجل صنم ! إنها لمهزلة دونها كل مهزلة .

أصبح عروة وقد طار نومه طول ليلته من شدة ما يعانيه ، وأخذ يتجهز للرحيل، وغادر الطائف وقد حسبه قومه أنه سيزور كعادته أخواله بمكة، إلا

أن عروة خرج مقتفيا أثر رسول الله ﷺ وأخذ في السير حتى لحق المسلمين قبل بلوغ المدينة ، وأعلن إسلامه ، واستأذن رسول الله ﷺ أن يعود إلى قومه فيدعوهم إلى دين الله تعالى ويخلصهم من عبادة الطاغية ومن ظلمات الشرك. فقال له رسول الله ﷺ : (إنهم قاتلوك) . فقال عروة (يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم) ! قالها عروة مؤمنا ومتعجبا من حصول ذلك منهم .

لم يجرب عروة بعد العداوة التي يتعرض لها كل من دعا إلى حقيقة جديدة ، فما بالك بمن يدعو إلى حقيقة الحقائق ألا وهي الإيمان بالله تعالى . إن أعز شيء لدى الناس هو عقيدتهم باطلا كانت أم حقا — وفي سبيل الاحتفاظ بها يضحون بكل شئ ولو بمثل عروة الذي يحبونه حبا جما — إلا أن عروة وقد ذاق السعادة الشاملة التي غمرته منذ وجد حلاوة الإيمان وانسلت من قلبه عقيدة الشرك القاتلة ، عز عليه أن يسعد هو ويشقى قومه . والقلب الكبير والإيمان الصحيح متلازمان لا يفترقان : فالإيمان السليم يفسح القلب حتى إنه ليشمل الموجودات بأسرها حتى إن هداية رجل لهي عند المؤمن خير من حمر النعم. فطبيعة الإيمان تدفع المؤمن إلى إنقاذ الناس من الهلاك ، وإلى حب الخير لهم ، وإن مجامع الخيرات كلها يشملها الإيمان بالله ورسوله .

وقد وضّح صلوات وسلامه عليه الخطر الذي يتعرض له ليكون عروة على بصيرة من أمره ، وترك رسول الله ﷺ لعروة أن يقرر ما إذا كان في مكنته مواجهة الابتلاء الذي سيتعرض له أم لا فإن شاء ذهب واستشهد ، وإن شاء انتظر حتى تتهيأ ثقيف للإسلام بعد أن هيأ لها رسول الله ﷺ أسباب الدخول فيه ، فتعجل عروة الشهادة وقرر المسير إلى قومه ، مع علمه بما سيلقاه منهم. إنه يريد أن يؤدي واجبه نحو قومه وليصنعوا به ما بدا لهم .

عاد عروة إلى الطائف وهو في هذه المرة يتفجر الإيمان من قلبه ، عاد وهو يشعر بأنوار الحق تغمره من جميع جهاته وتسطع في جميع أركان وجوده ، عـاد ليعلـن إيمانـه بخاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه ، ويدعو قومه ليؤمنوا به .

رأى عـروة مـن قومه ما لم ير ، وسمع منهم مالم يكن ينتظر ، فهزأوا منه وسـخروا بـه ، واستنصـروا بالطاغية عليه ! ألم يكن هو نفسه الذي كانوا يحـتكمون إلـيه في قضاياهم ، ويستشيرونه في حل مشاكلهم ، ويأتونه في ملمـاتهم ، ويأمـنونه على دمائهم وأموالهم وأنفسهم ، لقد كان عندهم — كما قال: — أحب إليهم من أبكارهم فإلى أين ذهب هذا الحب ؟

الحـب نوعـان لا غير : حب ماسوني ـ وحب الله عز وجل ـ أما الحب الأول فهـو حـب الهـوى ، يصلح للتحول إلى الكراهية في أي درجة من درجاتـه، بل وقد يكون مصدرا للعدوان والظلم ، ذلك لأن مصدر هذا الحب إنمـا هو حب الذات[1] ، فإذا ما تصادم مع مصلحة الذات انقلب إلى ضده ، فـيقاطع الإنسـان من أحب بل وقد يقتله لسبب تافه ! ولو اختبرنا هذا الحب لوجدناه مفقودا في الواقع ، ولوجدنا مكانه جملة من العواطف أطلق عليها لفظ الحب ، إنه حب فانٍ لأنه متعلق بما يفنى .

أما الحب الأخير : حب الله عز وجل : فهو حب خالد باقٍ لا يفنى ولا يزول ولا يـتحول. هـو الحـب الجـامع لجميع درجات الحب ، والذي يحب الله عـز وجل ، لا يحب شيئا إلا لحب الله تعالى لهذا الشئ . ولكن أنَّى له العلم

---

[1] مـا مـن صنم عبد من دون الله أشد من الهوى وقد تفشت هذه العبادة في عصرنا هذا ومعها الأخـلاق المدمرة وانتشار الفساد في البر والبحر وتعلق أهل الهوى بما سواه تعالى في غياب متابعته ﷺ .

بـــأن الله يحب هذا الشئ ؟ لا يمكن لمخلوق أن يبلغ الدرجة الشاملة في الحب فـــي الله إلا إذا تحقق بمتابعة رسول الله ﷺ ، فهو صلوات الله وسلامه عليه الذي جاء مفصلا ومبينا لكلام الله عز وجل ، وقد فصل للعالمين مراتب حب الله سبحانه وتعالى ، فلا يمكن أن يلج إنسان الباب الصحيح لحب الله تعالى إلا عـــن طريقه ﷺ . وهذا الاختصاص يحتم أن يكون صلوات الله وسلامه عليه أحـــب إلـــى المؤمن من نفسه وولده وماله والناس أجمعين، فهو أولى الخلق بحب الخلق له في الله عز وجل وتمام المتابعة يقتضي أن يكون حبّ لله وفي الله وكل ما يخطر على بال المرء كذلك : هذا هو الباب الوحيد للتخلق بمكارم الأخلاق المتدفقة من شعب الإيمان .

لا عجب إذن إن ينقلب قوم عروة بالرغم من هذا الحب الذي يكنونه له ، لأنه حب موهوم متخيل . وكانوا كلما ازدادوا عنادا له ، ازداد صلابة في دين الله عز وجل . وأخيراً قرر أمرا لا يفعله إلا مثله .

قـــام في الفجر وارتقى بيته وصعد على سطحه ثم أذن للصلاة : فهاج الناس ومـــاجوا وتجمهـــروا حـــول منزـــله يسبونه في هذا الوقت المبكر ، وقذفوه بالأحجار ، ثم رماه رجل منهم بسهم فأصاب منه مقتلا فخر مضرجا بدمائه . ولعـــل عروة كان أحب إلى هذا الرجل من أبكاره! وما أشبهه بحب بروتوس لقيصر!

وسعى بنو معتب ــ وهم عصبته ــ إليه وسألوه (ماذا ترى في دمك ؟) .

فقال عروة (كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إلي فليس فيّ إلاّ مافي الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم فادفنوني معهم). نفســـي فـــدى للمؤمن الحق: إنه كريم في حياته كريم عند موته أو شهادته .

وكـــيف لا يكـــون كريما وقد تعلق بواهب الوجود ، واتبع من أرسله الله إلى الناس كافة رحمة للعالمين ؟ حقا إن مثل عروة كمثل صاحب ياسين في قومه يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار.

أحدث استشهاد عروة بهذه الطريقة رد فعل شديد في ثقيف ، وأثار الاشمئزاز فـــي نفـــوس حكمـــائهم ، فلماذا يقتل عروة ؟ لماذا يُقْتَلُ من يدعو الناس إلى الإيمان بالله عز وجل ؟ وأقسم أبو مليح بن عروة بن مسعود وابن عمه قارب بن الأسود بن مسعود ألا تجمعهما ثقيف أبدا ورحلا إلى المدينة وأسلما .

وبعـــد عام من فتح مكة ، وجد الثقفيون أن العرب تدخل في دين الله أفواجا ، وقـــد أســـلمت القبائل المحيطة بهم ، وهاهو قائدهم يوم حنين مالك بن عوف النصـــري لا يدعهم في راحة أبدا ويصليهم الكرة بعد الكرة . واجتمع زعماء ثقيف وتشاوروا في الخطة التي يجب عليهم أن يسلكوها ، فرأوا أنه لا طاقة لهـــم بحرب من حولهم من العرب الذين دخلوا في الإسلام ، وأجمعوا أمرهم على أن يرسلوا رجلا إلى المدينة ينوب عن ثقيف في مفاوضة رسول الله ﷺ. فكلموا في ذلك عبد ياليل بن عمرو ، ولكنه أبى أن يفعل خشية أن يصنعوا به مـــا صـــنعوا بعـــروة : وقـــال لهم " لست بفاعل حتى ترسلوا معي رجالا " فاخـــتاروا معه رجلين من الأحلاف : الحكم بن عمرو بن وهب بن متعب ، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب ، وثلاثة من بني مالك: عثمان بن أبي العاص بن بشير وهو من سدنة الطاغية وهو أيضا صهر بني أمية من قريش كما أنهم أخواله ، وأوس بن عوف أخو بني سالم ونمير بن خرشة بن ربيعة أخو بلحارث .

خـــرج بهـــم عـــبد ياليل وهو ناب القوم وصاحب أمرهم فقدموا المدينة في رمضان سنة تسع للهجرة ، فلما اقتربوا من سرح المدينة رآهم قريبهم المغيرة ابن شعبة وكان يرعى في نوبته ركاب المسلمين ، وكانت رعيتها نوبا عليهم، فلمـــا رآهم ترك الركاب واشتد يسعى ليبشر رسول الله ﷺ بقدوم وفد ثقيف. فلقـــيه أبو بكر رضي الله تعالى عنه فسأله عن الخبر، فحدثه بأن الثقفيين قد أرسلوا وفدا عنهم ليبايعوا على الإسلام ويشترطوا شروطا ويكتتبوا من رسول الله كـــتابا فـــي قومهـــم وبلادهم وأموالهم. وكان أحب الأعمال إلى الصديق الأكـــبر، إدخـــال السرور على رسول الله ﷺ ، وكان يعلم أن رسول الله ﷺ لا يســـر كســـروره بإيمان رجل بالله عز وجل وهدايته بالإسلام ، وقد ورث الصـــديق الأكبر هذا الخلق من رسول الله ﷺ : فقال للمغيرة (أقسمت عليك بـــالله لا تســـبقني إلى رسول الله حتى أكون أنا الذي أحدثه) ففعل المغيرة ، ودخل أبو بكر الصديق على رسول الله ﷺ فأخبره بقدوم ركب ثقيف .

وعاد المغيرة إلى الوفد فروح الظهر معهم وعلمهم كيف يحيون رسول الله ﷺ بتحـــية الإسلام ، ثم قدموا على رسول الله ﷺ فحيوه بتحية الجاهلية . وشرع الوفـــد فـــي المفاوضة ومكث الوفد أياما دون أن يصل إلى اتفاق وكان الذي يمشـــي بينهم وبين رسول الله ﷺ خالد بن سعيد بن العاص وكانوا لا يأكلون طعامـــاً يأتـــيهم من عند رسول الله ﷺحتى يأكل منه خالد بن سعيد، وطالت المفاوضـــة، إذ كـــان الوفـــد يســـاوم ويشترط ، ظنا منهم بأن المسألة مسألة مســـاومة، ولمـــا طال مكثهم ، قالوا لرسول الله ﷺ (هل أنت مقاضينا حتى نرجع إلى قومنا ؟) .

فقال صلوات الله وسلامه عليه (نعم . إن أنتم أقررتم بالإسلام أقاضيكم وإلا فلا قضية ولا صلح بيني وبينكم) قالوا (أفرأيت الربا فإنه أموالنا كلها؟).

فقال ﷺ (لكم رؤوس أموالكم . إن الله تعالى يقول ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتَّقوُا اللهَ وذَرُوا مـا بَقِيَ من الرِبا إن كُنتُم مُؤْمِنين** ﴾[1] قالوا (أفرأيت الخمر ، فإنه عصير أرضنا لابد لنا منها ؟) .

فقال ﷺ : إن الله قد حرمها ، وقرأ ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون**﴾

فسألوا رفع الصلاة عنهم ، فقال لهم ﷺ (لا خير في دين لا صلاة فيه)

ولمـا وجـد القوم أنهم لا يستطيعون رفع شرط من شروط الإسلام ، اجتمع بعضـهم إلـى بعض فقالوا (ويحكم ! إنا نخاف إن خالفناه يوما كيوم مكة ، انطلقوا نكاتبه على ما سألناه) ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ .

فقال : (نعم ــ لك ما سألت . أرأيت الربة ــ يقصدون اللات ــ ماذا نصنع فيها ؟) .

فقال ﷺ (اهدموها) . قالوا (هيهات . لو تعلم الربة أنك تريد هدمها لقتلت أهلها !) .

فقال عمر بن الخطاب (ويحكم ما أجهلكم ! إنما الربة حجر !).

قالوا (إنا لم نأتك يا ابن الخطاب ، وقالوا لرسول الله ﷺ " تول أنت هدمها ، فأما نحن فإنا لا نهدمها أبدا) فقال ﷺ (فابعَثُ إليكم من يكفيكم هدمها) .

فطلبوا إرْجَاء هَدمِها ثلاث سنوات ، فأبى رسول الله ﷺ فما برحوا يقصرون الأمد ورسول الله ﷺ يأبى عليهم ، حتى سألوه شهرا واحدا بعد وصولهم إلى ثقيف ، فأبى أن يدعها شيئا مسمى ، وكانوا يطلبون التأجيل خوفا من عامتهم، كمـا كـرهوا أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلوا في الإسلام ، وفاتهم أن الإقـرار ببقائها ولو لحظة واحدة إنما هو إقرار بالشرك وهذا ما لا يسمح به الإسلام أبدا .

---

[1] سنام القرآن وقسطاطه الآية ٢٧٨ .

انتهـــت المفاوضة على أساس إسلام ثقيف ، وكاتب الوفد رسول الله ﷺ على ذلـــك ، وأسلموا وبايعوا على الإسلام ، ومكثوا في المدينة أياما يتفقهون في الديـــن . وكانوا إذا ما غدوا إلى رسول الله ﷺ كل يوم خلفوا عثمان بن أبي العاصـــي على رحالهم لأنه أصغرهم . وكان عثمان إذا ما رجع الوفد وقالوا بالهاجرة ، يعمد إلى رسول الله ﷺ ليسأله في الدين ، ويستقرئه القرآن الكريم، حـــتى فَقِه في الإسلام وعَلِم ، وكان إذا لم يجد رسول الله ﷺ ، يعمد إلى أبي بكر الصديق ، وقد كتم ذلك عن أصحابه .

من هذا نعلم أن رسول الله ﷺ كان يستقبل الناس لتفقيههم والنظر في شئونهم حـــتى فـــي الأوقات التي تُطلَبُ فيها الراحة ، ومن هذا نعلم أهمية التفقه في الديـــن ، فقد أخَّرَ الوفدُ رحيلَهم لدعوة ثقيف إلى دخول الإسلام ولم يكن لهذا مـــن ســـبب سوى العلم بأحكام الإسلام ، ولم ينكر أحد عليهم مكثهم . والذي يـــتأمل بثه ﷺ للعلم ، يعلم إعجازه في هذا المضمار فكان ﷺ يعطي كل فرد من العلم ما يطيق ، وما تتحمله قدراته الكاملة ، وقد يمكث الرجل يتردد على مجلس رسول الله ﷺ مرات معدودة ، فإذا به يتضلع في أحوال دينه ودنياه ، ويدرك مالا يدركه المجد في التعلم طول حياته. أما إعجازه التربوي ﷺ ، فلا شـــاهد عليه أكثر من أن الرجل الفظ الغليظ يجلس اللحظة مع رسول الله ﷺ فيؤمـــن بالله تعالى وإذا به يدرك في هذه اللحظة من الكمالات ما لايدركه لو تولى تربيته جميع الناس .

ثـــم اســـتأذن وفد ثقيف للرحيل ، وليسبقوا البعث الذي سيتولى هدم الطاغية وقـــالوا (نحـــن أعلم بقومنا) ، وهم يريدون تمهيد الطريق لدخول ثقيف في الإسلام فوافقهم رسول الله ﷺ على ذلك ، ثم قالوا (يا رسول الله ، أَمِّرَ علينا رجلا يؤمنا من قومنا) فأمر عليهم عثمان بن أبي العاصي ، لما وجد فيه من الحـــرص علـــى التفقه في شئون الدين ، وأمره ﷺ أن يجعل مسجد الطائف حيث كانت طاغيتهم ، وهذه بشرى من رسول الله ﷺ بإسلام ثقيف .

وفـــي الطريق اتَّفقَ الوفد على أن يكتموا عن قومهم ــ في بادئ الأمر ــ ما حدث ، واتفقوا فيما بينهم على خطة لو نجحت لأسلمت ثقيف كلها . هذا الوفد هـو نفســه الذي كان يضرب الخطط كي يجبر المسلمين على قبول شروط ثقــيف حيــن كان متوجها إلى المدينة ، وهو الآن في عودته لا يشغله سوى إســلام ثقــيف ، لقد توجه الوفد إلى المدينة ثقفياً ، ثم عاد إليها محمديا ، هذه الســاعات التــي قضاها الوفد مع رسول الله ﷺ ملأته بالإيمان حتى أصبح لا يفكــر إلا فــي ســعادة الغير ، وما من قوة تستطيع أن تفعل هذا بالنفس البشرية فتهديها إلى مجامع الخير سوى الإيمان الكامل برسول الله ﷺ .

فلما دنوا من الطائف خرجت ثقيف للقائهم : فماذا رأت ؟ رأت أعضاء الوفد وقد ساروا العنق ، وقطروا الإبل ، وتغشوا ثيابهم ، على عادة العرب إذا ما دهــاهم خطب ، وفدحهم أمر جلل . فقال الثقفيون (ما جاء وفدكم بخير ولا رجعــوا به) ثم ترجل الوفد ، وقصدوا اللات ونزلوا عندها ، حتى لا يثيروا ريــبة قومهــم . وأقبل عليهم الناس يسألونهم (ماذا رجعتم به ؟) قالوا (أتينا رجلا فظا غليظا يأخذ من أمره ما يشاء ، قد عرض علينا أمورا شدادا : هدم اللات ، وترك الربا ، وحرم علينا الخمر والزنا !) .

فقالت ثقيف : والله لا نقبل أبدا ...

فقالوا : أصلحوا السلاح وتهيئوا للقتال ، وتَعبَّوا له ورُمُّوا حصنكم .
وأقبلــت ثقــيف تستعد للحرب ،ولكنه كان استعداداً فاترا لم تعهده ثقيف في نفســها ، ذلك لأن تعاليم الإسلام كانت قد غزت عقلية ثقيف ، وكسرت فيها نخــوة الجاهلــية ، كمــا أن تواتر الأخبار بدخول العرب أفواجا في دين الله تعالى، وقد قل من حدتهم ، وأضعف حماسهم لآلهتهم ، بل وجعل الكثير من عقلائهم يستنكرون تخلف ثقيف عن الدخول فيما دخلت فيه العرب .

فعلام هذا التمسك باللات وقد هدمت العرب أصنامها ! وكان زعماؤهم يوالون الاجتماع لتقرير خطة العمل ، وبعد ثلاثة أيام ، تبين لهم أن الاستعداد للحرب إنمـــا هو خطة خرقاء لا تعود عليهم إلا بالضرر ، خطة قد فقدت دواعيها ، وحينـــئذ اجتمعوا بأعضاء الوفد وقالوا لهم (والله مالنا طاقة بقتال هذا الرجل الذي دانت له العرب ، فارجعوا ، فأعطوه ما سأله وصالحوه عليه).

وهنا تظهر بجلاء حكمة وفد ثقيف ، فلو أخبروهم رأسا باتفاقهم على الإسلام، لكـــان مصـــيرهم مـــثل مصير عروة تماما ، لذا التجأوا أولا إلى جس نبض ثقـــيف: فأخـــبروهم بشـــروط الإســـلام على صورة العرض لا على صورة الاتفـــاق، فلما رأوا إعراضهم ، تصوروا لهم بصورة المنكر لما يكرهونه . الموافق لهم فيما يهوونه ، حتى ركنوا إليهم واطمأنوا ، وهم يعلمون أن ثقيفا إذا ما فكرت جديا في الحرب ، فلن تحارب ، وستذعن وتدخل في الإسلام ، وهاهـــي بعد أن اطمأنت إلى فساد فكرة الحرب ، جاءت تطالب الوفد بقبول الإســـلام ، وحينـــئذ أخبروهم بأنهم قد جاءوهم بذلك ، وهذا من حسن الدعوة وتمام التبليغ ولا يتأتى إلا مع ذوي الألباب من الناس وعقلائهم .

قـــالوا (فإنـــا قد قاضيناه وأعطيناه ما أحببنا ، ووجدناه أتقى الناس وأوفاهم وأرحمهـــم ، وأصدقهم ، وقد بورك لنا ولكم في مسيرنا إليه ، وفيما قاضيناه عليه ، فأقبلوا عافية الله) .

فقالت ثقيف (فلم كتمتمونا هذا الحديث وغممتمونا أشد الغم ؟)

قالوا (أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان).

وأسلمت ثقيف ، وبعد أيام من إسلامهم قدم بعث رسول الله ﷺ ، وقد أمر عليهم خالد بن الوليد ، وكان من بينهم المغيرة بن شعبة داهية العرب وهو من أكبر بيوتات ثقيف ، وأبو سفيان وتربطه بهم روابط المصاهرة .

وتدفقت الجماهير ترقب هدم اللات ، وكانت العامة تقول (إنه لا يستطيع أحد أن يهدمها) وخرجت النسوة يبكينها وينشدن :

لتبكين دفاع[1] أسلمها الرضاع[2] لم يحسنوا المصاع[3]

وخشيت ثقيف أن يعتدي البعض على أصحاب رسول الله ﷺ ، فوقف بنو معتب ــ قوم المغيرة وعروة ــ دون أصحاب رسول الله ﷺ يحمونهم مما قد يحدث ــ وقدم المغيرة أبا سفيان ليهدمها فأبى ، لا خشية من اللات ، بل خشية من العدوان عليه ! فقام المغيرة وقال لمن حوله (الله لأضحكنكم من ثقيف) وأخذ الفأس فضرب باب اللات ، ثم سقط يتخبط ! فصاح الحشد صيحة واحدة (أبعد الله المغيرة قتلته الربة) وقالوا متحدِّين (من شاء منكم فليقترب منها وليجتهد على هدمها ، فوالله لا استطاع .) وإذا بهم جميعاً يفاجأون بالمغيرة بن شعبة وقد وثب على قدميه يقول (قبحكم الله يا معشر ثقيف : إنما هي لكاع ، حجارة ومدر .. فأقبلوا عافية الله واعبدوه).
بقية من بقايا الشرك يعالجها المغيرة بدهائه ، لينتزعها من القلوب ، ويقتلعها من جذورها ، وقد دبر هذه الخطة ليضع شعور المعتقدين في الطاغية موضع السخرية اللاذعة ، كي يزول من نفوسهم أي أثر للاعتقادات فيها ، ورأى أن

---

[1] التي تدفع عنهم ما يضرهم .

[2] اللئام .

[3] المضاربة بالسيوف .

هذه المقدمة واجبة كي يحول دون أي اعتداء قد يقع ، بعد ما رأى من كثرة الحشد ، والنسوة يثرن الحماس بنشيدهن ــ ثم ضرب الباب فكسره ، وصعد مــع أصــحابه علــى ســورها فمازالوا يهدمونها حجراً حجراً حتى سووها بالأرض. وهذا هو ما تفعله تعاليم الإسلام بكل عقيدة فاسدة .

ولمــا وصلوا إلى أساسها قال سادنها (ليغضبن الأساس فليخسفَنَ بهم!) ولكن دعــاة الحــق مازالوا يحفرون الأساس ويخرجون مع كل حفنة من تراب أو قطعــة مــن حجــر ، عقيدة فاسدة أو أثرا من آثار الشرك والضلال ، أنهم يكافحون بكل قواهم لإنقاذ البشر من العبودية لغير الله عز وجل ومن الخشية إلا مــنه تعــالى : هــؤلاء هــم أصحاب رسول الله ﷺ بأيهم اقتديتم اهتديتم لا يعدلهم في التاريخ بعد الأنبياء إنسان .

وأخــرجوا القرابين المهداة للات من حلي وأموال ولباس ، وجمعوا أنقاضها فأحــرقوها ، كــيلا يحــتفظ بها جاهل ، وفي ذلك يقول[1] شداد بن عارض الجشمي:

لا تنصــروا اللات إن الله مهلكُها ... وكــيف نصرُكم من ليس ينتصر !

إن التــي حُرِّقــتْ بالنار فاشتعلت ... ولــم تقــاتل لــدى أحجارهــا هَدَرُ

إن الرســول متى ينزل بساحتكم ... يظعــن ولــيس بها من أهلها بشر

وأسســوا مكانها مسجداً وكان بيتاً من بيوت الله تعالى مدرسة شاملة للإنسانية كلهــا : مدرســة تتطهر فيها النفوس من الخبائث لتتجه إلى الخالق عز وجل وتناجــيه ، فــيها يكرم الإنسان وأي تكريم مثل رفع الحجب عنه حين يقول "الله أكــبر" . يدخل المؤمنون بيت الله و هم خماص ، فيغدون وهم بطان مما شــهدوا من الأنوار . يخرجون دعاة لله عز وجل وهداة للعالمين ومن لم يجد ذلك فقد فاته معنى الصلاة ، ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لا خير في صلاته .

---

[1] من كتاب الأصنام لابن الكلبي ص ــ ١٨ ــ ط. دار الكتب ١٩٢٤ .

ورحل الصحب إلى المدينة ومعهم حُلي اللات وكسوتها فقسمها رسول الله ﷺ مـــن يومـــه . وسأل أبو مليح بن عروة بن مسعود الثقفي رسول الله ﷺ أن يقضي من مال الطاغية عن أبيه عروة دينا كان عليه وطلب ابن عمه قارب بن الأسود نفس الطلب . فقال رسول الله ﷺ لقارب (إن الأسود مات مشركا) فقال قارب (يارسول الله ، لكن تصل مسلما ذا قرابة ــ يعني نفسه ــ وإنما الدين علي وأنا الذي أطلب به) فأمر صلوات الله وسلامه عليه بقضاء دينهما من مال الطاغية .

وبعد :

فـــإن رســـول الله صلوات الله وسلامه عليه حين انصرف عن حصار ثقيف بالطـــائف جاء رجل فقال (يا رسول الله ادع عليهم) فقال رسول الله ﷺ : اللهم اهد ثقيفا وات بهم ، وقد استجاب الله عز وجل دعاء رسوله صلوات الله وسلامه عليه فما أرحمه بالخلق وما أشفقه عليهم .

٦- " أكرم بقوم رسول الله شيعتهم
إذا تفرقت الأهواء والشيع "

بنو تميم من القبائل العربية الكبرى ، وقد وصفهم ابن حزم بأنهم (قاعدة من أكبر قواعد العرب) ، وكانت منازلهم ــ حتى ظهور الإسلام ــ تمتد من نجد[١] إلى شط العرب والحيرة وتصل إلى الخليج العربي عند البحرين .

وفي بداية الإسلام كانت تميم وحلفاؤها تعبئ عددا ضخما ذكر جرير الشاعر أنه سبعون[٢] ألفا ، وفي ذلك يقول :

سائل ذوي يمن ورهط محرق ... والأزد إذ ندبوا لنا مسعودا[٣]

فأتاهم سبعون ألف مدجج ... متسربلين يلامعا[٤] وحديدا

ديانتهم : كان بعضهم في الجاهلية يعبد الشمس وكانت سدانة بيت الشمس في بني أوس بن مخاشن من بني أسيد بن عمرو بن تميم وقد خرَّبه هند بن أبي هالة وصفوان بن أسيد في الإسلام ، وعبدت طائفة من تميم الدبران من النجوم ، ودان بعضهم بالنصرانية مثل عدي بن زيد العبادي الشاعر ، وآخرون بالمجوسية ومنهم زرارة بن عدس وابنه حاجب ، والأقرع بن حابس.

---

[١] الموجود الآن من تميم في نجد قبائل تنتمي معظمها إلى بني حنظلة بن مالك بن زيد مناه بن تميم وإلى بني سعد بن زيد مناة وإلى بني عمرو بن تميم .

[٢] يؤيد ذلك قول معاوية بن أبي سفيان حين سئل عن سبب سكوته على الأحنف بن قيس وكان قد أحفظه . فأجاب بقوله (هذا الذي لو غضب لغضب له مائة ألف من تميم لا يسألونه فيم غضب)

[٣] هو مسعود بن عمرو العتكي .

[٤] اليلمع ــ الدرع .

وكانـــت الإفاضة في الحج في الجاهلية يتولاها ولد الغوث بن مر ويقال لهم صـــوفة ، فلما انقرضوا تولتها بنو تميم فكانت في بني عطارد بن عوف بن كعب بن سعد ، فلا يجوز لأحد أن يمر في مواقف الحج قبل أن يمروا ، وقد ظهر الإسلام وكانت الإفاضة في آل صفوان من بني عطارد وقد انتهت إلى كرب بن صفوان ، وفي ذلك يقول أوس بن ثميم بن مغراء السعدي :

لا يـــبرح الناس ما حجوا معرفهم حـــتى يقـــال أجـــيزوا آل صـــفوانا

لغتهم : يقول مصطفى صادق[1] الرافعي إن (أهم القبائل الذين هم مادة اللغة فـــيما نـــص عليه الرواة قيس وتميم وأسد والعَجُز من هوازن الذين يقال لهم عليا هوازن وهم خمس قبائل أو أربع منها : سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصـــر بـــن معاوية ، وثقيف) ويقول عمرو بن العلاء أنصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم ، و في رواية أخرى عليا تميم وسفلى قيس .

ولـــيس مـــن الحكمة استخلاص مثل هذه الأحكام العامة ، استنادا إلى شواهد متفرقة ، والأصح أن يقال أن لغة تميم وقيس وبكر كانت من مجموعة اللغات السائدة في شرقي بلاد العرب وهي تختلف عن لهجات القسم الغربي اختلافا واضـــحا ــ وتشير كتب اللغة إلى وجود فوارق ومميزات في لهجة بني تميم تميزها ، عن غيرها ، منها :

١- **العنعـــنة :** فـــي لغة تميم وقيس وهي وضع العين مكان الهمزة إذا كانت أول الكلمة ففي : إنك ، وإذن ، وأسلم يقولون : عنك ، وعذن ، وعسلم .

٢- **التلـــتلة :** فـــي بهـــراء وهم بطن من بطون تميم وهم يكسرون أحرف المضـــارعة مطلقا . وقد ذكر سيبويه مواضع يكون فيها كسر أوائل الأفعال

---

[1] تاريخ آداب العرب له ــ ط ثانية ــ ١٩٤٠ ــ ص ١٢٧

المضارعة عاما في لغة العرب إلا أهل الحجاز وذلك في نحو مضارع فعل : المفتوح الفاء المكسور العين إذا كانت لامه ياء أو واو نحو خشي فيقولون نخشى بكسر النون ، وقد نسب ابن فارس هذا الكسر في فقه اللغة إلى أسد وقيس .

٣- **لغة فقيم دارم** يبدلون الياء جيما بغير تقييد كما في علي وعشي فيقال : علج وعشج ومن هذا قول الشاعر :

خالي عويف وأبو علج المطعمان اللحم بالعشج

قال ابن فارس الياء تجعل جيما في النسب عند بني تميم مثل غلامج أي غلامي.

٤- **وفي لغة تميم** يجيئون باسم المفعول من الفعل الثلاثي على أصل الوزن إذا كانت عينه ياء ففي مبيع يقولون مبيوع .

علاقات بني تميم بالفرس في الجاهلية :

كانت على تميم حصة في خفارة القوافل الفارسية التي تخترق شبه جزيرة العرب إلى اليمن ، وكانت عير[1] كسرى تخفر من المدائن حتى تدفع إلى المناذرة بالحيرة ويخفرها المناذرة بخفراء من ربيعة حتى تدفع إلى هوذة بن علي الحنفي باليمامة ويخفرها حتى يخرجها من أرض بني حنيفة ، ثم تدفع إلى تميم وتجعل لهم جعالة فيخفرونها حتى تبلغ مأمنها إلى اليمن فيتسلمها عمال كسرى هناك .

---

[1] قافلة .

وكـــان فـــي هجـــر من أرض البحرين سوق المشقَّر وقد بنى الفرس حصنا بالقـــرب منه ، وكان تجارهم يقصدونه من البحر والبر ويتجرون مع القبائل العربية ، ومن القبائل المجاورة لهذا السوق قبائل تميم وعبد القيس ، ويشرف علـــى سوق المشقر رهط المنذر بن ساروي ملك البحرين من بني عبدالله بن زيـــد بـــن دارم من تميم ، وكانوا يسيرون في معاملتهم في هذه السوق سيرة الملوك بدومة الجندل فيأخذون العشر ولا يبتاع بها أحد إلا بإذنهم .

وقـــد حاول الفرس أن يبسطوا سلطانهم على تميم التي كانت تهدد دائما طرق اتصـــالهم بـــرا بالساحل الشرقي الإفريقي وباليمن ــ ويَروِي الإخْباريون أن ســـابور ملـــك الفـــرس قام بعمليات حربية قاسية لتأديب القبائل العربية ومن بيـــنها تميم ، ويروون أنه كان يأمر بانتزاع أكتاف من يقع في يده ولذا لقبوه بذي الأكتاف .

وكـــان هـــوذة بـــن علي الحنفي ملك اليمامة يريد أن ينفرد بخفارة القوافل الفارســـية هناك فحاول أن يبعد بني تميم عن خفارة قوافل الفرس وأن ينفرد بخفارتهـــا في منطقتهم ، فانتظر حتى أرسل "وهرز" عامل الفرس على اليمن قافلة تحمل نبعا وقسيا إلى العاصمة الفارسية ــ المدائن ــ فلما وصلت أرض اليمامة أقنع مرافقيها من الفرس بعدم دفع الجعالة التي يدفعونها لتميم على أن يأخذهـــا هو مع ضمان سلامة مرور القافلة في أرضهم ، فقبلوا . ورأت تميم أن هـــذا التصـــرف يعتبر خرقا للقاعدة المتفق عليها وكان بين الذين أشاروا بمهاجمـــة القافلـــة صعصعة بن ناجية جد الفرزدق الشاعر ــ فلما توسطت القافلـــة أرض بني حنظلة هاجمتها تميم وغنمتها وأسروا هوذة بن علي ، ولم يطلقوه حتى افتدى نفسه بثلاثمائة بعير وفي هذا يقول شاعرهم :

ومـــنا رئـــيس القوم ليلة أدلجوا ... بهـــوذة مقـــرون اليديـــن إلى النحر

وردنـــا بـــه نخـــل اليمامة عانيا ... علـــيه وثـــاق القـــد والحلَق السمر

ثـم انطلـق هوذة ومن بقي من الفرس إلى كسرى ابرويز وقص عليه هوذة ما حدث وخشي كسرى أن تكون مؤامرة مدبرة باتفاق مع هوذة ، فسأله عن علاقـته بتميم فقال له : بيني وبينهم حساء الموت ، وهم قتلوا أبي ــ ثم سأله كيف يدركهم ؟ فقال له إن أرضهم لا تطيقها جيوش الفرس لمناعتها ، وأشار عليه بـأن يحبس عنهم الميرة سنة ، ثم يرسلها ويرسل معها جندا فيتظاهر بإقامة السوق وحينئذ يدبر الإيقاع بكل من يحضره من تميم ــ ووافق كسرى علـى هـذه المكيدة ، ولما وصلت القافلة أعلن هوذة : أن كسرى قد أرسل المـيرة ، واستعد في بني حنيفة والجيش الفارسي لما سيحدث . وكان القائد الفارسـي يُدخِـلُ من يريد حصنَ المشقر بعد أن يجرده من سلاحه ليشتري بغيـته ــ ولاحـظ رجـل من تميم وهو خيبري بن عبادة أن قومه يدخلون ولا يخـرجون فقـال لبني تميم : ويلكم ! أين عقولكم ؟ فوالله ما بعد السلب إلا القـتل، ثم اقتحم الباب وفتحه فإذا الناس يقتلون ، وفي رواية الطبري أن الذي فتح الباب عبيد بن وهب التميمي وفي ذلك يقول :

ألا هـل أتى قومي على النأي أنني حميـت ذمـاري يـوم باب المشقر
ضربت رتاج الباب بالسيف ضربة تفـرج مـنها كـل بـاب مضبَّر[1]

وأطلقـت العـرب علـى قائد الفرس لقب " المعبر " لأنه كان يقطع الأيدي والأرجـل ، وسمي هذا اليوم بيوم " الصفقة " لأن باب حصن المشقر أصفق على بني تميم ويسمى أيضا يوم المشقر .

وممن كانت لهم صلات بالأكاسرة والمناذرة : الشاعر عدي بن زيد من بني امـرئ القيس بن زيد مناة بن تميم وكان جده كاتبا لآل المنذر ، واتصل هو

---

[1] مقفـل .

بابرويز ملك الفرس فكان ترجمانه وكاتبه بالعربية ، وبعد وفاة المنذر الرابع أشـــار على ملك الفرس بإسناد منصبه إلى ابنه النعمان الثالث ، فوافق على ذلـك ، وتوثقـت الصلات بين عدي والنعمان إلى درجة جعلت النعمان ينبذ عبادة الأوثان ويدخل في النصرانية دين عدي متأثرا بنصحه ، إلا أن النعمان خشـــي بعد ذلك على مركزه من نفوذ عدي فما زال يحتال حتى استطاع أن يأمن جانب ابرويز فأوقع به وحبسه وفي ذلك يقول عدي :

ألا مـــن مـــبلغ الـــنعمان عنـــي ... علانـــية ومـــا يغنـــي الســـرار

بـــأن المـــرء لـــم يخلـــق حديدا ... ولا هضـــبا توقلـــه الوبـــار[1]

ولكـــن كالشـــهاب ســـناه يخبو ... وحـــادي المـــوت عـــنه مـــا يحار

فهـــل مـــن خـــالد إمـــا هلكـــنا ... وهـــل بـــالموت يـــا للـــناس عار!

ولـــم يزل في الحبس حتى مات ٦٠٤هـــ . وتمكن ابنه زيد من أن يحل عند ابرويـــز محل أبيه فأخذ يدبر المكائد ليوقع بالنعمان ، وما زال به حتى تغير علـــى النعمان وقبض عليه وأوطأه الفيلة سنة ٦١٣م . فكانت حادثة عدي من أسباب سقوط الأسرة اللخمية في الحيرة .

علاقاتهم بالمناذرة :

في الفترات التي يسودها السلام ، كان ملوك فارس وأقيالهم من لخمي الحيرة يعملـــون على اجتذاب القبائل البدوية بالمنح والعطايا ومنها الإنعام على بني يربوع بمنصب الردافة لملوك آل المنذر بالحيرة ، وكان ذلك في عهد المنذر الثالـــث المـــتوفى ٥٤٤م . والذي يتولى الردافة يكون ترتيبه التالي للملك في مجلسه ، وينوب عنه في المجلس إذا غاب . وحاول المنذر أن يحوّل الردِافة

---

[1] حيوان صغـير .

مـــن بنـــي يـــربوع إلى بني مجاشع من تميم ، فرفضت بنو يربوع ، فأرسل المنذر قوة لإخضاعهم ، فالتقوا بها يوم طخفة وكسروا جيش المنذر وأجبروه على إبقاء منصب الردافة فيهم ، واستمر الأمر كذلك حتى ظهر الإسلام وهي في بني عتاب بن هرمي الرياحي من بني يربوع .

ومن أيام تميم مع المناذرة يوم أوارة الثاني ، وسببه مقتل ابن لعمرو بن هند كان مسترضعا في بني دارم من تميم عند زرارة بن عدس ، وقد قتله دون أن يعرفه رجل من دارم اسمه سويد لأنه عبث بناقة له ، فلما عرفه هرب خوفا علـــى نفسه ، فسار عمرو بن هند وفتك بدارم ، ولاشك أن العداء المستفحل بين طيء وتميم كان له دخل في إثارة عمرو بن هند عليهم .

وكـــان زهير بن جذيمة العبسي يفرض إتاوة على هوازن كلها فقتله خالد بن جعفـــر الكلابي ، ثم هرب إلى النعمان مستجيرا به ، فتوجه إليه الحارث بن ظالم المري وكان فاتكا فقتله في قبة النعمان ثم هرب ، وأخذ يستجير بالقبائل حـــتى أجـــاره ضمرة بن ضمرة من بني دارم على النعمان وهوازن . فجهز النعمان جيشا انضم إليه الأحوص بن جعفر الكلابي أخو خالد وجَمْعٌ من بني عامر ، ونشبت الحرب بين بني مالك بن حنظلة وبين النعمان وكان على بني دارم زرارة بن عدس فانكسرت جموع النعمان وبني عامر .

من أيام تميم :

وكانت تميم منقسمة إلى بطون وقبائل قد استحكمت بينها الخلافات واستعرت بيـــنها الحروب مما أدى إلى تكوين تكتلات في داخل القبيلة وتكوين أحلاف بيـــنها كالحلف بين يربوع وبني نهشل ، وقد ذكر ابن النديم في الفهرست أن النسابة أبا اليقظان قد وضع مؤلفا في أحلاف تميم .

ومن أيام تميم مع قبائل ربيعة :

يـــوم نبتل ، ويوم جدود ، ويوم زرود ، ويوم ذي طلوح ، ويوم الأياد ، ويوم الغبيط ، ويوم فشارة ، ويوم زيالة ، ويوم عاقل ، والشيطين ، والوقبي الخ.. ومن أيامهم مع بكر : أيام الزورين والجفار والستار .

ومن أيامهم مع قيس :

أيام : الرحرحان ، وشعب جبلة ، وذي نجب ، والصرائم ، والرغام ، وجزع ظلال ، والمروت ...

وفـــي يـــوم الرحـــرحان انهزمت بنو تميم وأسر معبد بن زرارة أسره عامر والطفيل ابنا مالك بن جعفر بن كلاب . فاستنجد لقيط بن زرارة بالنعمان بن المنذر وهذا يدلنا على أن المناذرة كانوا يشتركون في حروب القبائل طبقا لما تقتضـــيه مصالحهم من ترجيح كفة على أخرى . كما استعان بالجون الكلبي ملـــك هجـــر وانضمت إليه ذبيان لعداوتها مع عبس وبنو أسد حلفاء ذبيان ، وســـار رؤساء تميم حاجب ولقيط ابنا زرارة ، وعمرو بن عمرو ، والحارث ابـــن شهاب ومعهم أحلافهم وقصدوا بني عامر فكان جمعا لم تشهد الجاهلية مثله ، ولما علمت بنو عامر بمسيرهم باتوا لهم في شعب جبلة حيث باغتوهم فهزموهم هزيمة فادحة وقتل لقيط وأسر حاجب بن زرارة .

مصرع خمسة ملوك من بني آكل المرار :

اجتمعت مضر وربيعة على أن يجعلوا منهم ملكا يقضي بينهم ، فكل أراد أن يكـــون منهم ، ثم تراضوا أن يكون من ربيعة ملك ومن مضر ملك . ثم أراد كـــل بطـــن أن يكون الملك منهم ، وحلا لهذا المشكل اتفقوا على أن يتخذوا

ملوكـــا من اليمن وطلبوا ذلك من بني[1] آكل المرار من كنده . فأجابوهم إلى رغبـــتهم ، فملكوا ستة من أبناء الحارث فكان محرق ملكا على تميم وضبة ، وشراحيل على بني عامر ، و معد يكرب على بقية قيس ، وحجر[2] على بني أســـد وكنانة ، وشرحبيل على وائل ، وسلمة على تغلب وبكر . ثم وثبت كل قبيلة على ملكها فقتلته ولم يبق من بني آكل المرار سوى سلمة ، فجمع جموع اليمـــن وسار لقتال نزار ، وحدثت وقعة يوم الكلاب الثاني وكانت لتميم على مذحج .

وممن اجتمع له خراج مضر ذو الأعواز سيد بني تميم ، وتقول الروايات أنه لمـــا كـــبر كـــان يحمل على سرير ويطاف به على مياه العرب فتؤدي إليه الخراج.

بطون تميم :

١- بنو سعد بن زيد مناة بن تميم :

كانت كثيرة العدد ، يربو عددها على باقي تميم ، بل (عدلت مضر كثرة)[3] ولذا كانت تسمى سعد الأكثرين ، وفي المثل (في كل أرض سعد بن زيد[4])

---

[1] آكـــل المـــرار هو حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث الأصغر ولاه أخوه حسان الحميري علـــى قبائل معد بن عدنان فدانت له وهو أول من يذكر من ملوك كنده . وذكر البغدادي في خـــزانة الأدب أن فـــي آكـــل المرار خلافا هل هو المذكور أم ابن ابنه الحارث بن عمرو بن حجر .

[2] هو والد امرئ القيس الشاعر المشهـــور .

[3] ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة : جـــ ١٥ ـــ ص ١٢٦ ط ـــ ١٩٦٢ .

[4] قالـــه الشاعر : الأضبط بن قريع : وكان قومه قد أساءوا إليه ، فانتقل عنهم فأساء هؤلاء إليه فانتقل عنهم وما زال ينتقل من قوم إلى قوم حتى عاد إلى قومه فقاله .

روى أبـــو العـــباس المبرد في كتاب الكامل : أن معاوية بن أبي سفيان قال للأحنف بن قيس وجارية بن قدامة ورجال من بني سعد كلاماً أحفظهم فردوا علـــيه رداً مقذعـــاً ، وكانت أم عبدالله بن معاوية تسمع ما يقولون في حجرة قريـــبة مـــن المجلس ، فلما خرجوا قالت : يا أمير المؤمنين لقد سمعت من هـــؤلاء الأجلاف كلاما تلقوك به فلم تنكر ، فكدت أخرج إليهم فأسطو بهم ! فقال معاوية : إن مضر كاهل العرب وتميما كاهل مضر ، وسعدا كاهل تميم وهؤلاء كاهل سعد " وكان عامة عدد بني سعد في كعب بن سعد .

ومـــن بنـــي ســـعد الشـــاعر المخبل السعدي قال أبو الفرج الأصفهاني كان مخضـــرماً من فحول الشعراء عمرَ طويلا وتوفي في خلافة عمر أو عثمان رضي الله تعالى عنهم . ومنهم الحربش بن هلال السعدي أشجع العرب .

ومن بني كعب بن سعد : المستوغر بن ربيعة وكان شاعرا فارسا عمر زمانا طويلا أدرك الإسلام وعاش إلى أيام معاوية وذكره ابن حجر في الإصابة في القسم الثالث .

ومـــنهم سليك بن سلكه السعدي نسب إلى أمه سلكه وكانت سوداء . وهو أحد أغربة العرب وهجَّائهم وصعاليكهم وفُتّاكهم وهو سليك بن عمرو قتل عام ١٧ قبل الهجرة .

ومـــن السابقين الأولين في الإسلام منهم : خباب بن الأرت : سبته ربيعة في حـــروبها مـــع تميم ثم باعوه في مكة فآل إلى أم أنمار بنت سباع الخزاعية ، وكـــان آل ســـباع حلفاء بني زهرة ، وأعتقته أم إنمار : فهو تميمي النسب ، خزاعي الولاء ، زهري الحلف .

ومن ربيعة بن كعب بن سعد : جارية بن قدامة الصحابي .

ومن بني عوف بن سعد : الأضبط بن قريع الشاعر .

ومـــن بنـــي عوف : بنو بهدلة وفيهم نخبة من أشراف تميم : دعا المنذر بن المـــنذر يوما ببُرْدَيْ أبيه محرق بن المنذر في مجلس جمع وفود العرب فقال (ليلبسن هذين البرْدين أعز العرب وأكثرهم حسبا) فأحجم الحاضرون حتى قـــام أحيمر[1] بن خلف بن بهدله فقال (أنا لهما) قال الملك : بماذا ! قال : بـــأن مضـــر أكـــرم العـــرب وأعـــزها وأكثرها عديدا ، وأن تميما كاهلها (أي أعلاها) وأكثرها ، وأن بيتها وعددها في بني بهدلة بن عوف وهو جدي، فمن أنكر هذا من العرب ، فلينافرني) فلم ينافره أحد . فقال المنذر هذا أنت فـــي أهلـــك وعشيرتك فكيف أنت في عترتك وأدانيك ؟ فقال : أنا أبو عشرة وأخـــو عشرة وعم عشرة . فدفع إليه البردين ، وإلى هذا أشار الزبرقان بن بدر إذ يقول :

وبردا ابن ماء المزن عمي اكتساهما بفضـــل معـــد حيث عدت محاصله

والزبرقان من خاصة بني بهدلة ، وكان في وفد تميم إلى رسول الله ﷺ وقد أســـلم . واستعمل ﷺ على صدقات بني سعد رجلين فاستعمل الزبرقان على ناحية وقيس بن عاصم على الأخرى .

ومـــن بني عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب : صعصعة بن معاوية ، عم الأحنف بن قيس ، وقد عده العسكري وغيره في طبقات الصحابة .

روى الزبير بن بكار : أن الأحنف بن قيس قال لأصحابه : أتعجبون من حلي وخُلُقـــي ! إنمـــا هذا شئ استفدته من عمي صعصعة بن معاوية ، وذكر من وصـــاياه له (يا ابن أخي لا تَشْكُ الذي نزل بك إلى أحد ، فإن الناس رجلان إمـــا صـــديق فيسوؤه وإما عدو فيسره ، ولكن أشك الذي نزل بك إلى الذي ابـــتلاك ، ولا تشـــك قط إلى مخلوق مثلك لا يستطيع أن يدفع عن نفسه مثل الـــذي نـــزل بـــك ، يا ابن أخي إن لي عشرين سنة لا أرى بعين هذا سهلا ولا جبلا فما شكوت ذلك لزوجتي ولا غيرها) .

---

[1] في رواية أخرى أن الذي قام هو ابنه عامر بن أحيمر .

والأحـــنف بن قيس يكنى بأبي بحر ، والأحنف لقب له اشتهر به شهرة أدت إلى الاختلاف على اسمه وقد جزم ابن حبان بأنه الحرث . أدرك الإسلام ولم يجتمع بالنبي ﷺ . قال (بينما أنا أطوف بالبيت في زمن عثمان إذ أخذ رجل من بني ليث بيدي فقال ألا أبشرك ؟ قلت : بلى . قال أتذكر إذ بعثني رسول الله ﷺ إلـــى قومك فجعلْتُ أعرض عليهم الإسلام وأدعوهم إليه فقلت أنت : إنـــك لتدعونا إلى خير وتأمر به ، وإنه ليدعو إلى الخير ؟ فبلغ ذلك النبي ﷺ فقـــال : اللهم اغفر للأحنف) . فكان الأحنف يقول فما شئ من عملي أرجى عندي من ذلك .

وأخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد من طريق جبير بن حبيب أن رجلين بلغا الأحـــنف بن قيس أن رسول الله دعا له ، فسجد شكرا ، وكان يضرب بحلمه المـــثل . وقال عنه عمر رضي الله تعالى عنه : الأحنف سيد أهل البصرة . وسأله رجل : بم سدت قومك وأنت أحنف أعور ! قال : بتركي ما لا يعنيني كمـــا عـــناك من أمري مالا يعنيك ــ وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعـــي أهـــل البصرة . مات بالبصرة أيام ولاية مصعب بن الزبير ٦٧هـــ فمشى مصعب في جنازته وقال : ذهب اليوم الحزم والرأي .

ومن بني عبيد : بنو منقر :

وسيدهم قيس بن عاصم المنقري: قال ابن سعد كان قد حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ، و كان حكيما حليما . قال الأحنف بن قيس (رأيته يوما محتبيا فأتى برجل مكتوف وآخر مقتول . فقيل هذا ابن أخيك قتل ابنك ! فالتفت إلى ابـــن أخيه فقال : يا ابن أخي بئسما فعلت ، أثمت بربك ، وقطعت رحمك ، ورميـــت نفســـك بسهمك . ثم قال لابن له آخر : قم يا بني فوار أخاك وحل أكـــتاف ابـــن عمك ، وسق إلى أمه مائة ناقة دية ابنها فإنها غريبة .) وعده الأحـــنف فيمن أخذ عنهم الحلم . ولا صحة للروايات التي تقول إنه أول من وأد فـــي تميم في الجاهلية. لأن طباع المرء تنبي عن فعاله. قال له الصديق الأكـــبر رضـــي الله تعالى عنه صف لنا نفسك . فقال (أما في الجاهلية فما هممـــت بملأمـــة ولا أقبلت على تهمة ، ولم أر إلا في خيل مغيرة أو نادي عشـــيرة أو حامـــي جريرة. وأما في الإسلام فقد قال الله تعالى ﴿ **فـــلا تزكوا أنفسكم**﴾ .

وجـــاء في حديث رواه ابن شاهين من طريق المدائني أن قيس بن عاصم لما قـــدم على رسول الله ﷺ قال : هذا سيد أهل الوبر . وقد نال هذه المرتبة لما اجـــتمع فيه من الخصال الحميدة كالشجاعة والنجدة والمروءة والعفة والوفاء وكـــان أبرزها الحلم وهي صفات قلما تجتمع لأحد من أهل البادية ، وقد بَزَّ قيس بن عاصم فيها أقرانه . ولما توفي بالبصرة رثاه عبده بن الطيب فقال:

علـــيك سلام الله قيس بن عاصم ورحمـــته مـــا شـــاء أن يترحما

ومـــا كان قيس هلكة هلك واحد ولكـــنه بنـــيان قـــوم تهدمـــا

ومـــن بني منقر : بنو الأهتم وهم أهل بلاغة في الجاهلية والإسلام ، والأهتم لقـــب أبيهم واسمه سنان ، ومنهم عمرو بن الأهتم وكان خطيبا شاعرا وكان يقال لشعره الحلل المنَشَّرة ، وكان في وفد تميم الذي قدم على رسول الله ﷺ، ومـــن آل الأهـــتم : شيبة بن سعد بن الأهتم والمؤمل بن خاقان بن الأهتم ، وخالد بن صفوان بن عبدالله بن الأهتم وكلهم من البلغاء المشهورين .

ومن بني منقر : منازل ابن ربيعة الشاعر ويكنى أبا أكيدر .

٢- بنو عمرو بن تميم :

منهم أبو هالة بن زرارة تزوج السيدة خديجة بنت خويلد في الجاهلية وله منها الحـــارث وهند وهالة ، ذكر ابن الكلبي وابن حزم أن الحارث أول شهيد في سبيل الله تعالى ، استشهد تحت الركن اليماني ، وقال العسكري في الأوائل : لمـــا أمر الله نبيه ﷺ أن يصدع بما يؤمر قام في المسجد الحرام فقال : قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ، فقاموا إليه ، فأتى الصريخ أهله فأدركه الحارث بن أبي هالـــة فضـــرب فيهم ، فعطفوا عليه فقتل ، وفي الفتوح لسيف ما يؤيد ذلك ، إذ روي عـــن عثمان بن مظعون أن الحارث قتل (ونحن أربعون رجلا ليس بمكة أحد على ما نحن عليه .)

وأخـــوه هند كان فصيحا بليغا وصَّافا ، وقد سعد السعادة الكبرى حين تزوج رســـول الله ﷺ سيدة النساء أم المؤمنين السيد خديجة ، وكان يقول أنا أ كرم الـــناس أبا وأما وأخا وأختا : أبي رسول الله ﷺ وأخي القاسم وأختي فاطمة وأمي خديجة رضي الله تعالى عنهم .
قتل يوم الجمل وفي رواية أنه مات بالبصرة بالطاعون ، ويقال إن الذي مات بالطاعون ابنه واسمه هند أيضا .

ومن بني عمرو بن تميم : يزيد بن عبدالله حليف بني مخزوم قتل مشركا في وقعـــة بدر ، ومن فرسانهم في الإسلام عباد بن الحصين الحبطي[1] من بني الحـــارث بن عمرو ويقال لهم الحبطات ويكنى أبا جهضم ، وكان يقوم بألف فارس ، ولاه عبدالله بن الزبير شرطة البصرة ، وكان مع المصعب في قتاله مع المختار بن أبي عبيد ، وشهد فتح كابل واستشهد بها ٨٥هـــ .

ومـــن بني أسيد بن عمرو : أوس[2] بن حجر بن عتاب ، قال عنه أبو عمرو ابـــن العـــلاء هـــو شاعر تميم غير مدافع . ويعده آخرون شاعر مضر حتى أسقطه زهير بن أبي سلمى .

ومنهم أكثم بن صيفي حكيم العرب ، لما بلغته أخبار الرسالة المحمدية أرسل رجليـــن من قومه ليأتياه بالخبر ، فلما عادا إليه وبلغّاه ما سمعاه ، جمع قومه وقـــال : أي قوم إنه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها فكونوا في هذا الأمر رؤساء ولا تكونوا فيه أذنابا .

---

[1] في المعارف لابن قتيبة أنه الحنظلي التميمي .
[2] ولد سنة ٥٣٠م وتوفي سنة ٦٢٠م .

وقـــال لهم (إن سفيان بن مجاشع سمى ابنه محمدا حبا في هذا الرجل . وإن أسقف نجران كان يخبره بأمره وبعثِه فكونا في أمره أولاً ولا تكونوا آخرا) وكـــان أكثم قد بلغ من الكبر عتيا وهو من معمري العرب ذكره أبو حاتم في المعمريـــن ، ولما سمع مالك بن نويرة ما قاله قال : إن شيخكم خرف ! فقال أكـــثم (ويـــل للشجي من الخلي ، والله ما عليك آسي ولكن على العامة) ثم نـــادى في قومه فتبعه منهم مائة رجل منهم : الأقرع بن حابس ، وسلمى بن القـــيس وأبو تميمة الهجيمي ، ورباح بن الربيع ، والهنيد ، وعبدالرحمن بن الربـــيع ، وصفوان بن أسيد ، فساروا حتى إذا كانوا دون المدينة بأربع ليال كره ابنه حبيش مسيره ، فأدلج على إبل أصحاب أبيه فنحرها ، وشق القرب وأهـــرق الماء ــ ويقول الذين يرجحون إسلامه : إن أكثم في هذه الرحلة لما حضـــرته الوفاة أوصى أصحابه بقوله (أقدموا على هذا الرجل فأعلنوه بأني أشـــهد أن لا إله إلا الله وأنه محمد رسول الله) وأوصاهم باتباعه ومؤازرته ولا يبعد أن يكون هذا الركب وفد تميم الذي قدم المدينة .

وأســـلم ابـــن أخيه صفوان بن أسيد وابن ابنه : صفوان بن صفوان واستعمل رســـول الله ﷺ صفوان بن صفوان على صدقات بني عمرو وهو من الذين ثبـــتوا في حروب الردة . وأسلم حنظلة بن ربيعة بن صيفي وكان من كتاب الوحي .

ومن بني أسيد بن عمرو : حجير[1] بن أبي اهاب بن عزيز حليف بني نوفل وجده عزيز تزوج أخت الحارث بن عامر بن نوفل . وحجير هو الذي ابتاع خبيـــب بن عدي الذي أسر في حادث الرجيع سنة ٣هـــ لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ليقتله بأبيه ــ أسلم حجير فيما بعد .

---

[1] وفي روايات أنه من بني دارم ثم من بني عدس .

وممـــن اشـــتهر من الشعراء في الإسلام من بني مازن بن مالك بن عمرو : مالك بن الريب المتوفى سنة ٦٠هـ وكان من الأدباء الظرفاء الفتاك ، وانتهى أمـــره بأن لزم سعيد بن عثمان بن عفان الذي تعهد بأن يكفيه بشرط ألا يلجأ إلى اللصوصية ، فلزمه إلى أن مات .

٣- ومن بني امرئ القيس بن زيد مناة : عدي بن زيد الشاعر المشهور وقد سبقت الإشارة إليه .

٤- ومن بني مالك بن زيد مناة بن تميم :

علقمـــة بـــن عَبَدَة بن النعمان الربعي : من ربيعة[١] الكبرى ، وشعره يحكي الصراع بين اللخميين والغساسنة في عصره ، وله قصة مع الحارث بن جبلة ملك الغسانيين الذي أسر شأسا أخا علقمة وأناسا من تميم في معركة عين أباغ ٥٨٣م وقد أطلق الحارث بن جبلة سراحهم إكراما لعلقمة ، وكان ينافس امرئ القيس ، ويروى أن الشاعرين تحاكما إلى زوجة امرئ القيس فحكمت لعلقمة علـــى زوجهـــا ، فطلقها ، وتزوجها بعده علقمة فأطلقوا عليه الفحل . ووفاته حوالي ٦١٢م .

ومن بني حنظلة بن مالك : ثم من ربيعة الوسطى المغيرة بن صبناء الشاعر، ومن البراجم من بني حنظلة : عبد قيس بن خفاف وله قصة مشهورة مع حاتم الطائي المتوفى سنة ٤٥ ق.هـــ، ولاميته مطبوعة في كتاب التعليقات الشريفة على جملة من القصائد[٢] الحكمية .

---

[١] الرابع في تميم أربعة : أ- ربيعة الكبرى وتسمى ربيعة الجوع ومنهم علقمة وأخطأ ابن دريد فجعله من ربيعة الوسطى ب- ربيعة الوسطى : وهو ربيعة بن حنظلة بن مالك . ج- ربيعة الصغرى وهو ربيعة بن مالك بن حنظلة بن مالك . د- ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة .

[٢] مطبوعة ١٣١١هـ بالقاهرة .

ومـــن البراجم : ضابئ بن الحارث بن ارطاة الشاعر الهجاء . وله قصة مع أمير المؤمنين ذي النورين عثمان ، وكان يحبس في الهجاء : وكان من أمر ضـــابئ أنه استعار كلبا يصيد به من بني جرول بن نهشل ، ولما طالبوه به امتنع فأخذوه منه قهرا فهجاهم بأبيات جاء فيها :

وأمكـــم لا تـــتركوها وكلـــبكم فـــإن عقـــوق الوالديـــن كبـــير

فاســـتعدوا عليه عثمان بن عفان فحبسه ، وجاء ابنه عمير يريد الفتك بعثمان فلم يقدر وفي ذلك يقول :

هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركـــت على عثمان تبكي حلائله

فـــي قائلـــة لا يبعد الله ضابئا ولا يـــبعدن أخلاقـــه وشـــمائله

وقد قتله الحجاج لهذا السبب .

ومنهم بنو يربوع بن حنظلة .

ومن شعرائهم السفاح بن بكر بن معدان اليربوعي .

ومـــن فرســـانهم : عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي فارس من فرسان العـــرب المغاوير ورئيس من رؤسائهم في الجاهلية ، وكانت له وقائع كثيرة مـــن أشـــهرها يوم الغبيط وكان بين بني مالك وعليهم عتيبة وبين بني شيبان وعلـــيهم فارس ربيعة وصنديدها : بسطام بن قيس ، وذاع صيت عتيبة حين أســـر فـــي هـــذه الوقعة بسطاما ، ومكث عنده في الأسر حتى استوفى فداءه أربعمائـــة مـــن الإبل وجز ناصيته وخلى سبيله على ألا يغزو بني يربوع . وقـــاتل الغساســـنة يوم كنهل و هزمهم ، وقتل عتيبة في معركة بين بني أسد وبين بني يربوع قتله ذؤاب بن ربيع الأسدي وقيل بل قتل يوم ثيره قتله جعل ابـــن مســـعود ، وكانت العرب تقول عنه إنه صياد الفوارس أو سم الفوارس وفي قتله يقول مالك بن نويرة :

فخـــرت بنو أسد بمقتل واحد صـــدقت بـــنو أسد عتيبة أفضل

ومن فرسانهم مالك بن حطان من بني عبيد بن ثعلبة بن يربوع : فارس شاعر جاهلـــي يقال له ابن الجرمية نسبة إلى أمه وكانت من بني جرم ، أصيب يوم قشارة وعاش بعده سنة واحدة .

ومن بني عبيد بن ثعلبة : مالك بن نويرة كان شاعرا شريفا فارسا من فرسان يـــربوع فـــي الجاهلـــية وهـــو ممن كانت لهم الردافة في الجاهلية ، ثم أسلم واستعمله ﷺ على صدقات بني حنظلة ، وأسلم أخوه متمم .

ومـــن السابقين الأولين من بني يربوع : وقاد ابن عبدالله حليف بني عدي بن كعب من قريش أسلم قديما قبل دخول دار الأرقم بن أبي الأرقم ، وهو أول مـــن قتل قتيلا من المشركين حين اصطدمت بهم سرية نخلة وفي ذلك يقول شاعر بني عدي :

سقينا ابن الحضرمي رماحنا بـــنخلة لمـــا أوقد الحرب واقد

ومن أبطالهم في الإسلام عتاب بن ورقاء الرياحي اليربوعي ، استشهد في واقعة مع شبيب بن يزيد الخارجي سنة ٧٧هـــ . ومن أجوادهم خالد بن عتاب

ومـــنهم الحـــر بن يزيد اليربوعي أرسله الحصين بن نمير التميمي في ألف فارس لاعتراض الإمام الحسين رضي الله تعالى عنه حين قصد الكوفة فانضم إلى الإمام الحسين وقاتل عنه حتى استشهد .

ومن بني حنظلة : بنو دارم بن مالك بن حنظلة .

وأشهر فروع دارم هم : بنو نهشل وبنو مجاشع وبنو عبدالله .

ومن بني نهشل : الأسود بن يعفر بن حارثة من شعراء الجاهلية ، جعله ابن سلام في الطبقة الثامنة مع خداش بن زهير والمخبل السعدي والنمر بن تولب وقصـــيدته الدالية معتبرة من مختار أشعار العرب في الجاهلية وحِكَمها وهي التي يقول في مطلعها :

نام الخلي وما أحس رقادي والهم محتضر لدى وسادي

وكان مسروق بن المنذر النهشلي سيدا جوادا وكان مؤثرا للأسود كثير الرفد له ، والبر به ، ولما مات رثاه وحزن لفقده وفي ذلك يقول :

يـــا لهف أمي إذ أودى وفارقني أودى ابـــن سلمى نقّي العِرض مرموقا

واتصل بالنعمان ملك الحيرة ونادمه .

ومنهم أم أبي جهل وهي أسماء بنت مخربة .

وممن أدرك الإسلام وآمن : خالد بن مالك بن رِبْعي .

ومـــن بني مجاشع : صعصعة بن ناجية بن محمد بن سفيان بن مجاشع ، جد الفـــرزدق الشاعر ، روى ابن أبي عاصم وابن السكن والطبراني من طريق الطفـــيل بـــن عمـــرو عن صعصعة أنه قدم وأسلم وتعلم آيات من القرآن . ويقال إنه كان يشتري الموؤدات : اشترى ثلاثين موؤدة إلى أن جاء الإسلام . وجدة صعصعة لأمه جارية وهبها كسرى لزرارة فآلت إلى مسكين بن حارثة وولـــدت له قفـــيرة أم صعصـــعة وكان جرير يعيبها على الفرزدق . وكان لصعصـــعة قـــيون : مـــنهم جبير ووقبان وديسم ، فجعل جرير مجاشعا كلها قيونا، واتخذت سبة على الفرزدق: مر خلف بن خليفة الشاعر على الفرزدق فقال يا أبا فراس من الذي يقول :

هـــو القين وابن القين لا قين مثله لفطـــح المســـاحي أو لجـــدل الأداهـــم

والمســـاحي الآلات يجـــرف بها الطين وما أشبه ، والأداهم القيود ، فأجابه الفرزدق من فوره ، هو الذي يقول :

هـــو اللص وابن اللص لا لص مثله لثقـــب جـــدار أو لصـــر الدراهـــم

ومـــنهم أعيـــن بـــن ضبيعة بن ناجية ابن أخي صعصعة ووالد النوار زوج الفـــرزدق ، ذكره في الاستيعاب ولم يذكر ما يدل على صحبته ، وهو الذي عقر الجمل في موقعة الجمل ، وقد قتل غيلة في البصرة سنة ٣٨هـــ.

ومنهم ابن عم صعصعة : الأقرع بن حابس بن عقال ، أسلم قبل الفتح وشهد فتح مكة وحنينا والطائف ، وهو من المؤلفة قلوبهم ، وروى البخاري في تاريخه الصغيرة ويعقوب بن سفيان بإسناد صحيح من طريق محمد بن سيرين أن عيينة بن حصن والأقرع بن حابس استقطعا في خلافة أبي بكر أرضا فقال لهما عمر إنما كان النبي ﷺ يتألفكما على الإسلام فأما الآن فاجهدا جهدكما ورواه في الفتوح مطولا .

ومنهم الحتات[1] بن يزيد كان من بين وفد تميم . وروى ابن هشام أن رسول الله ﷺ آخى بين الحتات وبين معاوية رضي الله عنهما ، ولما مات الحتات في خلافة معاوية ورثه فقال الفرزدق في ذلك :

أبوك وعمي يا معاوي أورثا تراثا فنحتاز التراث أقاربه

فما بال ميراث الحتات أكلته ومسيراث حرب جامد لك ذائبه

فدفع إليه ماله .

ومن بني دارم : بنو عبدالله بن زيد رهط المنذر بن ساوي ملك البحرين وكان يعترف للفرس بتبعية اسمية وكان نصرانيا . وقد بعث رسول الله ﷺ إلى البحرين قبل فتح مكة : العلاء بن الحضرمي فدعا المنذر إلى الإسلام فأسلم، وصالح العلاء والمنذر من بقي على دينه على الجزية .

ومن بني دارم : بنو عدس ، ومن هؤلاء حاجب بن زرارة وكان من النفر الذين بعثهم النعمان بن المنذر إلى كسرى حين سمع منه الحط من شأن العرب وتهجين أمرهم ، وهو صاحب القوس المشهورة ، فقد توالت على

---

[1] عند ابن اسحاق الحتحات ووافقه السهيل ، وعند ابن هشام : الحتات ــ وفي السيرة الحلبية الحبحاب .

مضـــر ســـنوات جـــدب كادت تهلكهم ، فجمع حاجب قومه وقال لهم: (إني أزمعت على أن آتي الملك فأطلب إليه أن يأذن لقومنا فيكونوا تحت هذا البحر ــ الـــريف ــ حتى يُحْيَوْا) ثم ارتحل حتى أتى كسرى فشكا إليه شدة القحط وطلـــب منه أن يأذن لقومه في الإقامة في حد بلاده . فقال له كسرى: (أنكم معشـــر الغـــرب غـــدر ، حرصاء على الفساد ، فإن أذنت لهم أفسدوا البلاد وأغاروا على الرعية وآذوهم). فقال حاجب: (فإني ضامن للملك ألا يفعلوا) قال (ومن لي بأن تفي بما تقول ؟) قال: (أرهنك قوسي بالوفاء بما ضمنت لـــك) ولمـــا رأت حاشية الملك قوسه سخروا منه : وقالوا (بهذه العصا تفي الملـــك بمـــا ضمنت له !) فقال الملك: (ما كان ليسلمها لشئ أبدا) وأمرهم فقبضـــوها ، وأذن لقومه أن يدخلوا الريف . فمكثوا مدة القحط ومات حاجب أثناء ذلك .

وثبت في جميع كتب الحديث أن الناس استغاثوا برسول الله ﷺ فاستسقى لهم فمطروا ، وزال القحط ، وعاد الناس إلى بلادهم .

وأراد عطارد أن يحل الضمانة التي عقدها أبوه حاجب بن زرارة فارتحل إلى كسرى يطلب القوس فقال له (هلك والدي . وقد وفى لك أيها الملك بما ضمن لـــك عـــن قومـــه.) فـــرد علـــيه كسرى قوسه وكساه وفي ذلك قال الشاعر يفخر بحاجب :

وأقســـم كسرى لا يصالح واحدا مـــن الناس حتى يرهن القوس حاجب

وأسلم حاجب بن زرارة قبل قدوم وفد تميم وبعثه ﷺ على صدقات قومه. وله أخ يدعـــى لقيطا رآه أبوه يوم يختال بنفسه فقال له: (كأنما جئتني بمائة من هجـــان ابن المنذر أو تزوجت بنت قيس بن خالد) وكان سيد ربيعة ، فأقسم

لقـيط ألا يمـس الماء رأسه ولا يأكل لحما حتى يجمعهما جميعا أو يموت ، وخـرج فلـم يرجع حتى تزوج بنت قيس وجاء بمائة من هجان النعمان بن المنذر ، وقد قتل يوم شعب جبلة .

جـرى ذكر دارم في مجلس عبدالملك بن مروان فقال : والله لا تنسى العرب هـؤلاء الثلاثة أبدا : لقيط بن زرارة وقعقاع بن زرارة ومحمد بن عمير بن عطارد بن حاجب .

وأبلى الذين تمكن الإسلام منهم من تميم بلاء حسنا في الإسلام ، ومن قوادهم الذيـن سادوا تميما كلها هلال بن أحوز المازني عرفه ابن حزم بأنه قاتل آل المهلب وفيه يقول جرير :

أتنسـون شدات ابن أحوز معلما إذا المـوت بـالموت ارتـدى وتأزرا

واشتهر من شعرائهم في الإسلام : جرير بن عطية الخطفي من بني كليب بن يربوع .

والفـرزدق : أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية وكلاهما توفي ١١٠هـ .

والفرزدق من بني مجاشع ولعل حب الفخر المتأصل في عروق تميم هو الذي جعل هذين الشاعرين يتفننان في ضروب الفخر والهجاء .

دخـل الفـرزدق يومـا على سليمان بن عبدالملك وكان يكرهه لكثرة فخره فتجهمه وتنكر له ، وأغلظ له في الخطاب حتى قال له : من أنت لا أم لك !.

قال : أو ما تعرفني يا أمير المؤمنين ، قال : لا !

قال : أنا من قوم منهم أوفى العرب ، وأحلم العرب ، وأسود العرب ، وأجود العرب ، وأشجع العرب ، وأشعر العرب .

فقال سليمان : والله لتحتجن لما ذكرت أو لأوجعن ظهرك ولأبعدن دارك .

قال : أما أوفى العرب فحاجب بن زرارة رهن قوسه عن العرب كلها وأوفى. وأما أحلم العرب فالأحنف بن قيس يضرب به المثل حلما . وأما أسود العرب فقيس بن عاصم قال له رسول الله ﷺ (هذا سيد أهل الوبر) ــ وهذا تحريف من الفرزدق لمعنى الحديث ــ وأما أشجع العرب فالحريش بن هلال السعدي ، وأما أجود العرب فخالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي ، وأما أشعر العرب فهأنذا عندك .

فاغتم سليمان مما سمع من فخره وقال : فما جاء بك ! لا شئ لك عندنا ، فارجع على عقبيك ، فقال الفرزدق :

أتيناك لا من حاجة عرضت لنا إليك ولا من قلة في مجاشع

قال ابن أبي الحديد : لو ذكر عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي وقال إنه أشجع العرب لكان غير مدافع ، ولكنه أعرض عنه وإن كان تميمياً لأن جريرا يفتخر به فحملته عداوة جرير على العدول عن ذكره .

ولا ننسى أن لتميم قسطا وافرا في الفتن التي حدثت في الإسلام . فمنهم سجاح بنت الحارث اليربوعي ، نشأت في بني تغلب في الجزيرة وادعت النبوة في السنة العاشرة من الهجرة ، وآمن بها عدد من نصارى تغلب ، وزحفت بهم وبمن تبعها من بني شيبان وإياد قاصدة الحجاز واتصلت حين مرت بنجد بمالك بن نويرة سيد بني يربوع وكانت منازلهم غرب الدهناء ، ودعته إلى الانضمام إليها فأقنعها بالعدول عن مهاجمة المدينة وكان ذلك في

أول خلافة الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه ، ثم اتصلت بوكيع بن مالك زعيم بني حنظلة فلم تظفر بطائل فغادرت أرض تميم واتجهت إلى اليمامة ، وكان مؤذنها شبث بن ربعي اليربوعي ثم صار من الخوارج .

وإذا كانت البداوة غالبة على طباع تميم فإنهم فطروا على عدم الانطباع للسلطان وكان لهم نصيب في جميع الفتن التي نشبت في العهد الأموي . ويعتبر شبث بن ربعي أول من حرر الحرورية ثم ظهر من تميم غلاة الخوارج أمثال نافع بن الأزرق الحنظلي ، وقطري بن الفجاءة ، وعبدالله بن الصفار السعدي وصالح بن مسرح التميمي من بني امرئ القيس بن عبد مناه، ومنهم زعيم فرقة الإباضية عبدالله بن إباض .

بداية الإسلام في بني تميم :

أسلم أفراد من بني تميم من حلفاء قريش قبل الهجرة بل وقبل دخول دار الأرقم . وأسلم بعض بني تميم قبل الفتح ، وأرسل رسول الله ﷺ إليهم من يدعوهم إلى الإسلام ، وقد ورد في قصة الأحنف بن قيس أن رسول الله ﷺ أرسل رجلا من بني ليث يدعو بني عبيد ـ رهط الأحنف ـ إلى الإسلام .

وممن دخل في الإسلام قبل الفتح حاجب بن زرارة وقد ولاه رسول الله ﷺ على صدقات قومه ، وكانت وفاة حاجب سنة ٣ هـ . ويؤيد ذلك رواية أبي حاتم في كتاب المعمرين : بينما صفوان بن أسيد في بعض ضواحي المدينة يسير بعد قدوم حاجب بن زرارة بزمان ، إذ مر به رجل من بني ليث كان يطلب بني تميم بدم فقتله ، فوثب عليه حاجب ووكيع أبناء زرارة فأخذاه فأتيا به النبي ﷺ ، فقالا : هذا قتل صاحبنا...، الحديث. وفيه أن أولياء القتيل عفوا عن القاتل بغير دية. وروى يعقوب بن سفيان في تاريخه عن سريع بن الحكم السعدي أنه قال : خرجت وفد بني تميم حتى قدمنا على رسول الله ﷺ فأدّيْنَا صدقات أموالنا . وممن آمن قبل الفتح : الأقرع بن حابس التميمي.

سَرِيَّة عيينَة بن حصن إلى بني العنبر :

وبـــنو العنبر من تميم ومنهم بنو عمرو بن جندب بن العنبر وكانوا قد أصابوا دما في قومهم فارتحلوا عنهم ونزلوا بأخوالهم من خزاعة . وبعث رسول الله ﷺ بشر بن سفيان[1] على صدقات بني كعب من خزاعة فلما جمعت خزاعة الصـــدقة . استنكر بنو العنبر ذلك وأبوا ، وابتدروا القسي وشهروا السيوف ، فانصرف عنهم بشر وقدم على رسول الله ﷺ وأخبره بما حدث . فأرسل إليهم عيينـــة بن حصن الفزاري في سبعين ومائة طبقا لرواية ابن شاهين عن ابن عـــباس ، و فـــي رواية الواقدي أنهم خمسون فارسا ليس فيهم أنصاري ولا مهاجـــري ــ فكان عيينة يسير بالليل ويكمن بالنهار حتى أتى مكانهم بالسقيا فهجم على ظعنهم إذ كان الرجال قد خرجوا في سرحهم . وفي رواية البغوي أنهـــم لمـــا علموا بقدومه هربوا وتركوا عيالهم فحدثت مناوشة بسيطة انتهت بأســـر أحد عشر رجلا وسبي إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيا . وكان ممن سبي من نسائهم يومئذ: أسماء بنت مالك، وكأس بنت أري ، ونجوة بنت نهد، وجميعة بنت قيس ، وعمرة بنت مطر ، ونعامة زوجة الحريش التميمي، فلما قدم عيينة بالأسرى، أرسل بنو العنبر وفدا من تميم في شأنهم، وكان من بينهم كما رواه ابن إسحاق :

---

[1] وفـــي روايـــة أخرى أنه نعيم بن عبدالله العدوي ونأخذ بالروايتين فيكون عاملا الصدقة بشر ونعـــيم رضي الله تعالى عنهما ــ وراجع القصة أيضا في نهاية الأرب جـــ ١٨ ــ ص ٣٢- - ط ــ القاهرة ــ ١٩٥٥ .

ربيعة بن رفيع[1] ، وسبرة بن عمرو ، والقعقاع بن معبد بن زرارة ، ووردان ابن[2] محرز وقيس بن عاصم ، ومالك بن عمرو والأقرع وفراس[3] ابنا حابس .

وزاد الطبري[4] حنظلة بن دارم ، وفي رواية ابن الكلبي أن فيهم الأعور بن بشامة فلما جاءوا وقت الظهيرة[5] طفقوا ينادون رسول الله ﷺ (أن أخرج إلينا) ، فخرج إليهم صلوات الله وسلامه عليه وقصوا سبب مجيئهم. فقال لهم ﷺ : (أترضون أن يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم) قالوا: نعم فقال سبرة إني لا أحكم إلا وعمي شاهد وهو الأعور بن بشامة ، فرضوا به . فقال الأعور : أرى أن تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال ﷺ قد رضيت . ففادى النصف وأعتق الآخر .

وفد بني تميم يُشاعر ويُفاخِر :

وفي المحرم من سنة ٩هـ فيما رواه ابن سعد قدم وفد بني تميم ويتراوح عدده ما بين سبعين إلى ثمانين رجلا ــ وعد ابن إسحاق من رجال الوفد :

---

[1] في الإصابة أنه رقيع بالقاف .

[2] وفي رواية أنه محرم .

[3] قال ابن دريد : الأقرع اسمه فراس فيكونان رجلا واحدا .

[4] تاريخ الطبري جـ٤ ــ ص ١٧٦٣ ــ ط. ليدن ١٨٧٩ ــ وفي اليرة لابن هشام أنه كان من بين القتلى في هذه الوقعة .

[5] في البداية والنهاية لابن كثير أنهم دخلوا المسجد وقد أذن بلال الظهر والناس ينتظرون رسول الله ﷺ ليخرج إليهم ، فعجل هؤلاء فنادوه من وراء الحجرات فنزل فيهم ما نزل – جـ٥ – ص– ٤٥ ط. ١٩٣٢ .

عطارد بن حاجب بن زرارة ، والحتات بن يزيد ، والأقرع بن حابس وكلهم من بني دارم والزبرقان بن بدر أحد بني بهدلة ، وعمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم من بني منقر ونعيم بن يزيد ، وقيس بن الحارث .

وممن جاء عده في روايات أخرى : رباح بن الحارث المجاشعي ، وخالد بن مالك بن ربعي عده مقاتلاً في تفسيره ، وعطاء بن حابس عده مقاتل أيضا .

ودخلوا المسجد في مظاهرة وكان رسول الله ﷺ في بيته ، فطفقوا ينادون (يا محمد أخرج إلينا) .

قال البغوي[1] يروى عن جابر أنه قال : جاءت بنو تميم فنادوا على الباب (أخرج إلينا يا محمد فإن مدحنا زين وذمنا شين) .

فسمعها رسول الله ﷺ فخرج وهو يقول (إنما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين) .

فقالوا (نحن ناس من بني تميم جئنا بشعرائنا وخطبائنا لنشاعرك ونفاخرك).

فقال رسول الله ﷺ (ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت ولكن هاتوا ما عندكم)

قال ابن إسحاق :

فقام عطارد[2] بن حاجب فقال :

---

(٢) هامش تفسير ابن كثير ــ جـ ١ ص ٩ ــ ١٠ .

[2] في البحر المحيط لأبي حيان : أن الزبرقان بن بدر قال لشاب منهم : أفخر وأذكر فضل قومك فقال نحوا من رواية اسحاق . جـ ٨ ــ ص ــ ١٠٦ ط. سنة ١٣٢٨هـ . ووافقه تلميذه ابن مكتوم القيسي ــ هامش البحر المحيط .

الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن وهو أهله ، الذي جعلنا ملوكا ، ووهب لـــنا أموالا عظاما ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا وأيسره عدة ، فَمنْ مِثلنا في الناس ؟ ألسنا برؤوس الناس وأولي فضلهم؟ فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، و إنا نعرف بذلك .

أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا .

ثم جلس .

فقال ﷺ لثابت بن قيس بن شماس ــ وكان خطيب رسول الله ﷺ ــ قم فأجب الرجل في خطبته . فقام ثابت فقال :

الحمـــد لله الـــذي السموات والأرض خلقه قضى فيهن أمره ولم يك شئ قط إلا مـــن فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا ، واصطفى من خير خلقه رســـولا ، أكرمه نسبا ، وأصدقه حديثا ، وأفضله حسبا ، فأنزل عليه كتابه ، وائتمـــنه على خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوو رحمه ، أكرم الناس حسبا ، وأحســـن الـــناس وجوهـــا ، وخير الناس أفعالا ، ثم كان أول الخلق إجابة ، واســـتجاب لله حيـــن دعاه رسول الله ﷺ : نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رســـوله ، نقـــاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه، و من كفر جاهدناه في الله أبدا وكان قتله علينا يسيرا . أقول قولي هذا واستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم .

ثم قال الزبرقان[1] لأحدهم : قم فقل أبياتا تذكر فيها فضل قومك . فقام فقال :

منا الملوك وفينا تنصب[2] البيع[3] ... نحن الكرام فلا حي يعادلنا
عند النهاب وفضل العز يتبع ... وكم قسرنا من الأحياء كلهم
من الشواء إذا لم يؤنس القزع[5] ... (ونحن[4] نطعم عند القحط مطعمنا
من كل أرض هويا ثم نصطنع ... ثم نرى الناس تأتينا سراتهم
للنازلين إذا ما أُنزِلوا شبعوا ... فنحر الكون غبطاً في أرومتنا
إلا استقادوا وكاد الرأس ينقطع ... فلا ترانا إلى حي نفاخرهم
إنا كذلك عند الفخر نرتفع ... إنا[6] أبينا ولم يأبى لنا أحد
إفيرجع القوم والأخبار تستمع) ... فمن يفاخرنا في ذاك يعرفنا

ثم جلس .

فقال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت : قم يا حسان فأجب الرجل فيما قال ، فقام حسان فقال :

قد بيّنوا سنة للناس تتبع ... إن الذوائب من فهر وإخوتهم
تقوى الإله وكل الخير يصطنع ... يرضى بها كل من كانت سريرته
أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا ... قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم
إن الخلائق فاعلم شرها البدع ... سجية تلك منهم غير محدثة
فكل سبق لأدنى سبقهم تبع ... إن كان في الناس سباقون بعدهم
عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا ... لا يرفع الناس ما أوهت أكفهم

---

[1] أسند ابن إسحاق هذا الشعر لزبرقان وتعقبه ابن هشام بأن أكثر أهل العلم لا ينسبه له .

[2] وعند ابن هشام (منا الملوك وفينا تقسم الربع) .

[3] بيوت العبادة .

[4] من هنا إلى آخر الأبيات نقلا عن الطبري جـ ٤ ص ١٧١٣ ــ ط ليدن .

[5] القزع السحاب الرقيق .

[6] عند أبي حيان (إذا أبينا فلا يأبى لنا أحد) .

أو وازنـــوا أهل مجد بالندى متَعوا ... إن ســـابقوا الـــناس يومـــا فاز سبقهم
لا يطـــبعون ولا يـــرديهم طمـــع[1] ... أعفـــة ذكـــرت فـــي الوحـــي عفـــتهم
ولا يمســـهم مـــن مطمـــع طـــبع ... لا يـــبخلون علـــى جـــار بفضـــلهم
كمـــا يـــدب إلى الوحشية الذرع[2] ... إذا نصـــبنا لحـــي لـــم تـــدب لهـــم
إذا الـــزعانف مـــن أظفارها خشعوا ... نســـمو إذا الحـــرب نالتـــنا مخالـــبها
وإن أصـــيبوا فـــلا خـــور ولا هُلُع ... لا يفخـــرون[3] إذا نـــالوا عدوهـــم
أســـد بحلـــية فـــي أرساغها فدع[4] ... كـــأنهم فـــي الوغـــى والمـــوت مكتنع
ولا يكـــن همـــك الأمر الذي منعوا ... خـــذ مـــنهم مـــا أتى عفوا إذا غضبوا
سِّـــما يخـــاض عليه الصاب والسلع ... (فإن[5] في حربهم — فاترك عداوتهم-
إذا تفرقـــت الأهـــواء والشـــيع ... أكـــرم بقـــوم رســـول الله شـــيعتهم
فـــيما أحـــب لســـان حـــائل صنع ... أُهـــديَ لهـــم مدحتـــي قلـــبٌ يؤازره
إن جد بالناس جد القول أو سمعوا) ... فـــإنهم أ فضـــل الأحـــياء كلهـــم

فلما فرغ حسان ، قال الزبرقان :

إذا احـــتفلوا عـــند احتضار المواسم ... أتيـــناك كـــيما يعلـــم الـــناس فضـــلنا
وأن لـــي فـــي أرض الحجاز كدارم ... بأنـــا فـــروع الـــناس فـــي كل موطن
ونضـــرب رأس الأصـــيد المـــتفاقم ... وأنـــا نـــذود المعلميـــن[1] إذا انتخوا[2]
نغـــير بـــنجد أو بـــأرض الأعاجم ... وأن لـــنا المـــرباع فـــي كـــل غـــارة

---

[1] القصـــيدة من رواية ابن اسحاق ــ وعند الطبير (لا يطمعون ولا يرديهم طمع) على إحدى الروايات جـــ ٤ ــ ٢ ١٧١٤ .

[2] كما يدب ولد البقرة الوحشية إليها .

[3] عند الطبري (لا فخر إن هم أصابوا عدوهم) .

[4] مكتنع : مقترب . حلية : مكان تكثر في الأسد .

[5] من هنا إلى آخر القصيدة رواية الطبري .

[1] الشجعان الذين يضعون العلامة كي يعرفوا في القتال .

[2] إذا ملأتهم نخوة القتال .

فقام حسان بن ثابت فأجابه ، فقال :

وجـاه الملـوك واحـتمال العظائم ... هـل المجـد إلا السودد العود والندى

علـى أنـف راض من معد وراغم ... نَصَـرْنا وآويـنا النبـي محمـداً

بجابـية الجـولان وسـط الأعاجم ... بحـي حَـرِيد أصـله وثـراؤه

بأسـيافنا مـن كـل بـاغ وظـالم ... نصـرناه لمـا حـل وسـط ديارنـا

وطبـنا له نفسـا بفـئ المغـانم ... جعلـنا بنيـنا دونـه وبناتـنا

علـى ديـنه بالمـرهفات الصوارم ... ونحـن ضـربنا الـناس حتى تتابعوا

ولدنـا نبـي الخـير من آل هاشم ... ونحـن ولدنـا مـن قريش[٣] عظيمها

يعـود وبـالا عـند ذكـر المكارم ... بنـي دارم لا تفخـروا إن فخـركم

لـنا خـول مـا بين ظئر وخادم ؟! ... هليـتم ! عليـنا تفخـرون وأنـتم

(قال أبو حيان : فقال النبي ﷺ : " لقد كنت غنيا يا أخا دارم أن يذكر منك ما ظننت أن الناس قد لتنوره " فكان قوله ﷺ أشد عليهم من جميع ما قال حسان)

وأموالكـم أن تقسـموا في المقاسم ... فـإن كنـتم جئـتم لحقـن دمـائكم

ولا تلبسـوا زيـا كـزي الأعاجم ... فـلا تجعلـوا لله نـدا وأسـلموا

فلما فرغ حسان بن ثابت ، قال الأقرع بن حابس : وأبي إن هذا الرجل لمؤتى لـه : لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا .

---

[٣] يشير إلى أخواله صلوات الله وسلامه عليه من بني النجار .

فأسلم القوم وجوَّزهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم . وعند الواقدي أنه ﷺ أجازهم على كل رجل اثني عشر أوقية ونشا ، إلا عمرو بن الأهتم فإنما أعطي خمس أواق لحداثة سنة .

قال ابن إسحق : وكان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم في ظهرهم (إبلهم) وكان أصغرهم سنا فقال قيس بن عاصم ، وكان يبغض عمرو بن الأهتم: يا رسول الله ، إنه قد كان رجل منا في رحالنا وهو غلام حدث ، وأزري به، فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ما أعطى القوم ، فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيسا قال ذلك يهجوه[1]:

ضد الرسول فلم تصدق ولم تصب ظللت مفترشا هلباك تشتمني

والروم لا تملك البغضاء للعرب إن تبغضونا فإن الروم أصلكم

مؤخر عند أصل العجب والذنب سدنا فسوددنا عود ، وسوددكم

تعيين العمال على صدقات بني تميم :

روى الإمام البخاري عن ابن مليكة قال (كاد الخيِّران أن يهلكا ــ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ــ رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم ، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر ــ قال نافع لا أحفظ اسمه ــ فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: ما أردت إلا خلافي ــ قال ما أردت خلافك ــ فارتفعت أصواتهما عند ذلك).

وفي رواية أخرى عند البخاري عن عبدالله بن الزبير قال (قدم ركب بني تميم على النبي ﷺ ، فقال أبو بكرٍ أمِّر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر:

---

[1] الشعر رواية الطبري .

" بسل أمرَّ الأقرع بن حابس " . فقال أبو بكر : ما أردت إلا خلافي ، فقال عمر: ما أردت خلافك . فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما).

وفي حديث ساقه الحافظ الإمام ابن حجر نقلا عن كتاب النصوص لصاعد الربعي أن الخلاف وقع على القعقاع وخالد بن مالك النهشلي وفيه: فقال ﷺ (لولا أنكما اختلفتما لأخذت برأيكما) فرجعا ولم يولهما شيئا. قال ابن حجر : وذكر أبو أحمد العسكري هذه القصة في الصحابة أيضا ــ إلا أن ابن الأثير تعقب هذه الرواية بأن خالد بن مالك لم يذكر له صحبة إلا العسكري ــ وقد ساق ابن حجر ردا على هذا حديثا ذكره ابن عبد البر :

وفيه أن النبي ﷺ قال للقعقاع ولخالد قد عرفتكما . وأراد أن يستعمل أحدهما على بني تميم فاختلف أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما .

ويؤخذ من ذلك : أن الاختلاف تكرر تارة مع القعقاع وتارة مع خالد بن مالك والأقرع بن حابس . كما يؤخذ من الحديث : أنه ﷺ كان يستشير أهل الدراية من الصحابة عند تعيين الأمراء من القبائل ، وإذا حدث خلاف بينهم ترك اختيارهم وقد ولّى صلوات الله وسلامه عليه على بني حنظلة مالك بن نويرة، وتُعرَفُ حكمة هذا الاختيار: إذا ما علمنا ثبات مالك بن نويرة في أحلك الأوقات بعد وفاته ﷺ ونعني حروب الردة .

أما بنو سعد فقسمها ﷺ بين قيس بن عاصم والزبرقان بن بدر .

روى الإمام البيهقي عن محمد بن الزبير الحنظلي قال : قَدِمَ على رسول الله ﷺ الزبرقان بن بدر ، وقيس بن عاصم ، وعمرو بن الأهتم ، فقال ﷺ لعمرو بن الأهتم (أخبرني عن الزبرقان ، فأما هذا فلست أسألك عنه) وأراه عرف قيساً . قال الحافظ ابن حجر إسناده حسن إلا أن فيه انقطاعا ولم يسأل صلوات

الله وسلامه عليه عمرو بن الأهتم عن قيس بن عاصم لأنه من أبناء عمومته وكلاهما من بني جعفر ، أما الزبرقان فهو من بني بهدلة ، وكان بين عمرو وبيـــن قيس شيئا ، ويقال : إن قيس بن عاصم ضرب والد عمرو على وجهه فأصاب فاه ولذا لقب بالأهتم واسمه سنان.

ورواه البيهقي من وجه آخر موصولا بإسناده عن ابن عباس قال :

جلس إلى رسول الله ﷺ قيس بن عاصم والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم التميمـــيون ففخـــر الزبرقان فقال : يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجـــاب ، أمنعهم من الظلم وآخذ لهم بحقوقهم وهذا يعلم . يعني عمرو بن الأهتم .

فقال عمرو بن الأهتم : إنه لشديد العارضة ، مانع لجانيه ، مطاع في أدنيه[1]، فقال الزبرقان : والله يا رسول الله لقد علم مني غير ما قال وما منعه أن يتكلم إلا الحســـد ، فقـــال عمرو بن الأهتم : أنا أحسدك ! فوالله إنك للئيم الخال ، حديـــث المـــال، أحمق الوالد ، مضيع في العشيرة !! والله يا رسول الله لقد صـــدقت فـــيما قلت أولا وما كذبت فيما قلت آخرا ، ولكني رجل إذا رضيت قلـــت أحسن ما علمت ، وإذا غضبت قلت أقبح ما وجدت ، ولقد صدقت في الأولى والأخرى جميعا . فقال ﷺ : إن من البيان لسحرا[2] .

---

[1] قومه .

[2] القصة مروية في كتب الأدب مثل زهر الآداب ، ومجمع الأمثال . وفيها أن عمرو بن الأهتم قـــال : أما والله لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيق العطن (العطن المناخ حول الماء وهـــو كـــناية عن البخل) زمر (قليل) المروءة ، أحمق الأب ، لئيم الخال ، حديث الغنى ! فرأى الكراهة في وجه رسول الله ﷺ لما اختلف قوله .

وكان موقف الزبرقان بن بدر في حروب الردة مشرفا وقد أرسل حصين بن هريم التميمي إلى محكم بن الطفيل ينهاه عن الردة .

وكـــان فـــي بني تميم شدة في الخلق لسكناهم في البادية ، روى البخاري عن عمران بن حصين قال :

جـــاء نفر من بني تميم إلى النبي ﷺ فقال ﷺ : أقبلوا البشرى يا بني تميم . قـــالوا : قد بشرتنا فأعطنا ـــ مرتين ـــ ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال ﷺ : أقـــبلوا البشرى يا أهل اليمن إذا لم يقبلها بنو تميم. قالوا : يا رسول الله جئنا نسألك عن هذا الأمر[1]...الحديث .

******

الأمور المستفادة من القصة :

١- فيها دليل على كمال تمكنه ﷺ في معالجة النفوس وهدايتها ، فما زال بهؤلاء الذين لم يقصدوه إلا للمباهاة والمفاخرة حتى اجتث من نفوسهم حمية الجاهلية ، وطهرهم من أدران الشرك وفتح قلوبهم للإيمان بالله عز وجل.

٢- فـــيها دليل على شدة رحمته ﷺ بالأمة ، وشدة حرصه على هدايتها ، فـــبالرغم مـــن إخلالهـــم بقواعـــد الآداب التي يستلزمها مقام الرسالة والنـــبوة، بـــادر صـــلوات الله وسلامه عليه بالخروج إليهم وأذن لهم فـــيما يريدون وما زال يرفق بهم صلوات الله وسلامه عليه حتى آمن من لم يؤمن منهم .

---

[1] صحيح البخاري ـــ كتاب بدء الخلق .

• تخـــريج الحديث : قال الحافظ ابن حجر : أخرجه ابن شاهين عن مقسم بن عباس ويعقوب بن سفيان من طريق وقاص بن سريع بن الحكم .

٣- فيها دليل على كمال إعراضه صلوات الله وسلامه عليه عما سوى الله تعالى ؛ إذ لم يجبهم بنفسه فيما قصدوه وهو ﷺ يجيب كل سائل عن أي مسألة من مسائل التشريع مهما كان السؤال ، بل أذن ﷺ للمختصين من أصحابه بإجابتهم في مشاعرتهم ومفاخرتهم .

٤- فيها دليل على قوة سريان كمالاته صلوات الله وسلامه عليه إلى صحبه رضوان الله تعالى عليهم ، إذ لم يقبلوا في كلامهم على ما ألفته العرب من عناصر الفخر ، بل جعلوا محور مقالهم التحدث بنعم الله تعالى أن هداهم للإيمان ، وشرفهم بالجهاد في سبيل نصرة رسول الله ﷺ والدعوة إلى الإسلام .

الإسلام يحسم الأضرار النفسية والاجتماعية للتفاخر :

التفاخر داء وبيل يؤدي إلى فساد الفرد والمجتمع ، وهو يهيئ أرض النفس لتكاثر جراثيم الآفات النفسية والخلقية وما ينشأ عنها من أمراض تلازم المجتمع فهو يؤدي إلى :

الكبر والعجب والخيلاء ، والكف عن العمل الصالح والارتكان على المفاخر ، وهذا يفضي إلى التحلل من كل واجب .

ومن مستلزمات التفاخر : الغش الذي يلجأ إليه صاحبه ليؤيد دعواه فيذكر ما ليس فيه و (من غشنا فليس منا) رواه الطبراني وأبو نعيم . ومنها الْمَنّ على الناس بما يفعل ولو كان شراً وبما لا يفعل مع مطالبتهم بمدحه على ما لم يفعل من خير .

وقد جاء في الحديث الشريف : (لا يدخل الجنة خب ــ أي لئيم ــ ولا بخيل ولا مــنان) رواه الترمذي فيصبح الواجب غرما ، والغرم غنما ، والمتفاخر إنمــا يجعل فخره ضريبة على الناس يتقاضى بها ما عندهم بدون وجه حق . ومــا أســرع الحمية إلى المتفاخر إذا ظن أن هناك من ينافسه ويضاهيه في فخره ، إذ يعلم أن المساواة مع غيره في الفخر تقتضي إسقاط حقوق ابتدعها وفرضها على غيره .

ومــن مســاوئ الــتفاخر الاســتهزاء بالناس وتتبع عوراتهم ليظهر أنه خير منهم.ومن مقتضياته الرياء ومحاولة الفرد الظهور بما ليس فيه .

والــتفاخر يفضــي إلى معاندة الحق وإسقاط الحقوق والتشبه بالفسقة والظلمة والجباريــن ليشــار إلــى صاحبه بالبنان مثلهم ، كما يقتضي الرضا بالظلم والإعانــة علــيه ، والتسابق على المهلكات واعتبارها مقاييس للفخر الزائف ومــن الآفات النفسية التي يستلزمها داء التفاخر حب الذات والأنانية وجنون العظمــة والســيطرة وحــب الرياسة لذاته ومن أكبر البلايا في عصرنا قيام الشموليين من شيعة وشيوعيين بالمن على الشعوب بما أحدثوه من فساد شامل ومالم يعملوه من خير .

والــتفاخر جاء من تمسك الإنسان بقيم مزيفة ، يفني حياته في سبيل تحقيقها والدفاع عنها ، والتعصب لها ، وحبك الشئ يعمي ويصم . وما أظلت السماء من إله يعبد من دون الله أعظم من هوى متبع .

والذي يتتبع آداب الإسلام يؤمن بإعجاز ذلكم الدين الحنيف في اقتلاع الآفات مــن جمــيع جذورها ، ويشهد بإعجازه العلمي صلوات الله وسلامه عليه في استئصال العيوب النفسية واجتثاثها لتتهيأ النفوس لقبول الكمالات التي تقتضيها

اســتعداداتها . وتفصيل ذلك يرتبط ببيانه صلوات الله وسلامه عليه للإعجاز القرآني وارتباط ذلك بصفاء النفوس وطهارتها وكمالها .

ويكفـــي هـــنا أن نذكـــر بعض ما ورد من الحديث الشريف في التحذير من التفاخر والكبر والخيلاء والعصبية :

(إن الله أوحـــى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد) رواه أبو داود في الأدب وابن ماجه في الزهد .

(إن الله أذهـــب عـــنكم عبـــية الجاهلية وفخرها بالآباء : إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقي ، الناس بنو أدم وآدم خلق من تراب) والعبية هي الكبر والفخر والنخوة . رواه أبو داود والترمذي وحسنه .

(لا يدخـــل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من غيمان ، ولا يدخل الجنة أحـــد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه .

وجـــاء فـــي الحديـــث القدسي أن الله تبارك وتعالى يقول (الكبرياء ردائي والعظمـــة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار) رواه مسلم وابن حـــبان وأبـــو داود وابـــن ماجه ، ورواه الحاكم بلفظ (الكبرياء ردائي فمن نازعني ردائي قصمته) وقال صحيح على شرط مسلم .

(يحشـــر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان) من حديث رواه أحمد و الترمذي وحسنه .

(لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب مع الجبارين) رواه الترمذي في البر.

وجاء في تعريف الكبر أنه : بطر الحق وغمط الناس .

وفي التحذير من داء الافتخار بالعصبية :

(ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية) رواه أبو داود (من قتل تحت راية حمِّية ينصر العصبية ، ويغضب للعصبية ، فقتلته جاهلية) رواه مسلم والنسائي .

وعن وائلة بن الأسقع أنه قال : قلت يا رسول الله ما العصبية ؟ قال ك أن تعين قومك على الظلم . فتأمل لهذا الإعجاز في تعريف العصبية .

ومن الكبر الخيلاء في المشية :

(لا ينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطرا) متفق عليه .

(بئس العبد عبد بخل واختال ونسي الكبير المتعال ، بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى ، بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلا، بئس العبد عبد عتا وطغى ونسي المبتدا والمنتهى ، بئس العبد عبد يختلُ الدينَ بالشهوات ، بئس العبد عبدٌ طمعٌ يقوده ، بئس العبد عبدٌ هوى يُضِله ، بئس العبد عبدٌ رغَبٌ يذله) رواه الترمذي وقال غريب ، والحاكم وصححه ، والبيهقي وضعفه، والطبراني من حديث نعيم الغطفاني مختصرا .

وكان الصحب رضوان الله تعالى عليهم لقوة فهمهم للدين وشدة علمهم بأسرار النفس كانوا أشد ما يخشونه أدواء النفس الخفية ، فكان أحدهم مهما بلغت مكانته يتهم نفسه ، وهاهو عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليه ــ وهو هو على فضله وبلائه في الإسلام ومكانته ــ كان إذا ورد عليه الخوف من الله عز وجل يأتي باب حذيفة بالليل ويقول : ناشدتك الله : أنا ممن عدني النبي ﷺ في المنافقين ؟ فيقول حذيفة : والله ما أنت منهم ، فيقول : إنك عندي لصادق ، ولكن عملي يشبه عملهم ، فيرجع إلى بيته فيبكي على نفسه ، وربما التزم الفراش حتى يعوده أصحابه .